الدر المكنون في مواقف وذكريات

الشيخ العلامة

صالح بن علي بن غصون

ـ رحمه الله ـ

كتبه أبو خالد

عبد الكريم بن صالح المقرن

بسم الله الرحمن الرحيم

الدر المكنون في مواقف وذكريات
الشيخ العلامة
صالح بن علي بن غصون - رحمه الله -

ح) دار طويق للنشر والتوزيع ، ١٤٢١هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

المقرن ، عبدالكريم بن صالح

الدر المكنون في مواقف وذكريات الشيخ العلامة صالح بن علي بن عصون.- الرياض.

٧١ ص، ١٧×٢٤ سم

ردمك ٥-٢٦-٨٦٨-٩٩٦٠

١- إبن غصون ، صالح بن علي ٢- السعودية - تراجم

أ- العنوان

ديوي ٩٢٢,١١٣ — ٢١/٥٢٧٢

رقم الايداع : ٢١/٥٢٧٢

ردمك ٥-٢٦-٨٦٨-٩٩٦٠

١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م

دار طويق للنشر والتوزيع

ص.ب ١٠٢٤٤٨ الرياض ١١٦٧٥

ت: ٢٤٩١٣٧٤ - ٢٤٨٦٦٧٧ - ٢٤٨٦٦٨٨

بريد الكتروني: E-mail: dartwaiq@zajil.net

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

لقد اطلعنا على ما جمعه الأستاذ/ عبد الكريم بن صالح المقرن من مواقف وذكريات خالدة عن والدنا رحمه الله، وأسماه **(الدر المكنـــون)** في مواقف وذكريات العلامة الشيخ/ **صالح بن علي بن غصون**. رحمه الله.

لذا فقد أذنا له بطباعة ونشر وتوزيع هذا الكتاب، شاكرين ومقدرين له هذا العرفان لوالدنا ولجهوده المباركة فيما فيه نفع الإسلام والمسلمين، جعل الله ذلك في ميزان حسناته،،،

عن أبناء وورثة الشيخ

علي بن صالح الغصون

٢٠/١٠/١٤٢١هـ

عبد الله بن صالح الغصون

٢٠/١٠/١٤٢١هـ

المقدمـة

الحمد لله الذي رفع شأن العلماء، وأشهدهم على وحدانيته وألوهيته، وجعلهم أهل خشيته، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله إمامُ العلماء، وقدوةُ الفقهاء، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، أئمةِ الهدى، ونورِ الدُّجَى، وسلَّم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين، وبعد :

قال الإمام أبو حنيفة رحمه الله: " الحكايات عن العلماء أحب إليَّ مِنْ كثيرٍ مِنْ الفقه، لأنَّها آدابُ القوم ". فحياة العلماء، مدرسة للأجيال المسلمة، نتعلمُّ من خلالها الحرصَ والجدَّ في طلب العلم، ونتعرف على أخلاق العلماء، وصفاتهم النبيلة، وأفعالهم الحميدة، وحقٌّ على كل مسلمٍ – يعلم ما تحتاجه الأمة مِنْ حياةِ علمائها – أن يُبَيِّنَهُ للأمَّة: نُصْحًا، وتوجيهًا.

وإنَّ مِنْ علماء الأمَّة، الذين كانوا مشعل هدايةٍ، ومنبر توجيهٍ، سماحةَ العلامة الشيخ / صالح بن علي بن غصون، قدَّس الله رُوحه، وأعْلى درجته في المهديِّين. فقدْ كانت حياته جهادًا، وعملاً، وتضحيةً، وتعليماً. عَرَفَهُ القاصي والدَّاني: مُفْتِيَاً، وقاضياً، ومُعَلِّماً، ينصحُ لأُمَّة الإسلام، ويحملُ على عاتقه أمانةَ العلم. ولله درُّ القائل:

جَمَالُ ذِي الأَرْضِ كانُوا في الحَيَاةِ، وهُمْ
بَعْدَ المَمَاتِ جَمَالُ الكُتْبِ والسِّيَرِ

ولقد عشتُ مع شيخنا - رحمه الله - لحظات عظيمةً وأوقاتٍ مليئةً بالدُّروسِ والعِبَرِ، تَحْمِلُ صوراً مُشْرِقَة، وذكرياتٍ مؤثِّرةً، أثَّرَتْ في نفسـي، وأدْرَكْتُ فيها ما يحمله الشيخ - رحمه الله - مِنْ مكارمِ الأخلاق، وسجايا الخير.

وبعد وفاة شيخنا - رحمه الله -، بَقِيَتْ هذه المواقـف حبيسـةً في نفسي، كلَّما تذكَّرْتُهَا، ذكرتُ عَلَمَاً مِنْ أعلام الأمَّة المسلمة، فـأحببتُ أنْ يشاركني في تلك المواقف مَنْ لم يحضرها، أو لم يسمع بها، مع رغبةِ كثيرٍ مِنْ مُحبي الشيخ - رحمه الله - أن يسمعوا بمِثْلِ هذه الأخبار و المواقف.

وأداءً لِحَقٍّ مِنْ حُقُوقِ الشيخ عَلَيَّ، فقدْ كَتَبْتُ تلك الأسطر وفـاءً، وعرفاناً، وإظهاراً لِصِفَاتِ العُلَمَاءِ. وهذه المواقفُ رويتُها كمَا عَايَشْتُهَا، دونَ زيادةٍ ولا نقصان.

أسأل اللهَ بِمَنِّهِ وكَرَمِهِ أنْ يَرْحَمَ شيخنا، ويرفعَ درجاته، وأنْ يُخْلِفَ على أمَّة الإسلام خيراً.

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

أبو خالد: عبد الكريم بن صالح المقرن

الريـاض

حرر في: ١٤٢١/٢/٢٠هـ

****

سيرة العلامة: صالح بن غصون - رحمه الله -

هو الشيخ: **صالح بن علي بن غصون**، عضو هيئة كبار العلمـــــاء، وعضو مجلس القضاء الأعلى.

وُلِدَ في مدينة الرَّس، عام (١٣٤١ هـــ)، في بيت علـــمٍ وفضـــلٍ، ونشأ نشأةً مباركةً في المساجد والكتاتيب، وحفظ القرآن الكريم في صغره. وبعد ثلاث عشرة سنة أُصيب بمرض في عينيه، في عام (١٣٥٤ هـــــــ)، فأفقده بصره. وقد عوَّضه الله بصيرةً في العلم، وأدرك ما لم يدركه أقرانه.

أما عن صفاته الخلقية :

فقد كان متوسط القامة، مائلا إلى الطول، أبيض البشرة، خفيـــــف الشعر، قد علاه الشيب.

وقد طلب العلم في مدينة الرياض، على علماء الرياض آنذاك. ومـــن أشهرهم وأبرزهم :

١- سماحة مفتي الديار السعودية، الشيخ / محمد بن إبراهيم آل الشـــــيخ - رحمه الله -. درس عليه في الأصول والفروع.

٢- سماحة الشيخ / عبد اللطيف بن إبراهيم آل الشـــيخ - رحمـــه الله -. درس عليه في الفرائض.

وقد ألَمَّ الشيخ بمختلف الفروع والأصول. وحينما أدرك مشايخه نبوغه وأهليته، رشَّحوه في عهد الملك عبد العزيز - رحمه الله - للقضاء، فعُيِّن قاضياً في حوطة سدير، عام (١٣٦٨هـ)، فتولَّى القضاء وسُدِّد في أقضيته، فأحبَّه الناس، ونفع اللهُ بعِلْمِه.

وفي عام (١٣٧١ هـ) انتقل إلى قضاء شقراء ، فأحبَّه أهلها، وصار مرجعهم في الفُتيا. وتولَّى التدريس تطوُّعًا بمعهد شقراء العلمي، عند افتتاحه، إلى جانب عمله في القضاء.

وفي عام (١٣٨١هـ)، انتقل إلى قضاء الأحساء، رئيسًا لمحكمة الأحساء الكبرى، فنفع الله به. واستمر على ذلك قرابة عشر سنوات.

وفي عام (١٣٩٠ هـ)، انتقل إلى الرياض، قاضيًا في محكمة التمييز. ثم بعد تشكيل مجلس القضاء الأعلى، اُختِير عضواً في المجلس، إلى أن تقاعد في عام (١٤٠٩ هـ)، بطلبٍ منه – رحمه الله –.

ولَمَّا شُكِّلتْ هيئة كبار العلماء، اُختِير عضواً فيها، حتى عام (١٤١٣هـ)، حيث سافر للعلاج خارج المملكة، وتمت زراعة الكبد له - رحمه الله - بنجاحٍ تام. ولَمَّا تماثل للشفاء، واصل عمله الدَّعوي والإفتاء، إلى أن أُصيب آخر حياته - رحمه الله – بالمرض الذي ألزمه الفراش إلى أن وافاه أجله في يوم السبت ١٧ / ١٢ / ١٤١٩هـ. فَرَحِمَ اللهُ الشيخ رحمةً واسعةً، وأسكنه فسيح جنَّاته، وجعل قبره روضةً من رياض الجنَّة.



نشاط الشيخ الدعوي و العلمي :

عُرف عن الشيخ صالح بن غصون - رحمه الله - الاهتمام بالدعوة، ونفع الأمة - بفضل من الله -. فألقى الدروس العلمية، والمحاضرات، والكلمات، والمواعظ، والنصائح، في كلِّ بلدٍ يحلُّ فيه. وقد خلَّف من بعده علماء، ودعاةً، ومصلحين، وطلابَ عِلم.

وكان له أثرٌ واضحٌ على تلاميذه ومُحبِّيه، من أهل الصلاح والدعوة والخير. وتمثَّل ذلك في مشاركته الإذاعية، في البرنامج الشهير: " **نورٌ على الدَّرب** ". فكان يصل إلى الشيخ رسائلُ من جميع أقطار العالم، تحمل أسئلةً موجَّهةً إلى فضيلته، وباسمه.

وكان الشيخ - رحمه الله - يُولي البرنامج اهتماماً كبيراً، ويقدِّم تسجيل البرنامج على جميع ارتباطاته الأُسريَّة. فقد عالج الكثير من القضايا الأُسَرِيَّة والاجتماعية، وأوْلاها مزيداً من العناية، حيثُ انتفع به خلقٌ عظيمٌ. فكم من بيتٍ قد صَلحَ بفضل الله ثم بفضل أسلوب الشيخ وتوجيهاته!! وكم من أسرة كانت قد تفرقتْ، فاجتمعت بكلمةٍ صادقةٍ من الشيخ!!

وكان لأسلوب الشيخ الخاص، وصوتِهِ المميَّز، في البرنامج، الأثر البالغ على مستمعيه.

وكان - رحمه الله - يمتاز بحُسن الخُلُق مع مُحبيه، وهدوء الطبع، والتواضع، ودماثة الخُلُق، يُحبه كلُّ مَنْ يراه ويجلس معه. لا يُحب الظهور ولا الشهرة.

وكان يُحبُّ البُعْدَ عن الأنظار، زاهداً في كلِّ مظاهر الدنيا، متَّصفاً بصفات الأتقياء الأخفياء. لم تصرفْه الدنيا وزهرتها عن دعوته، وعلمه، وَوَرَعِه، وعمله. فقد كان محبوباً لدى ولاة الأمر - حفظهم الله ورعاهم -، يُجلُّونه، ويحترمونه، ويزورونه في بيته، في المناسبات. وكان ناصحًا، عاملاً، آمراً بالمعروف، ناهيًا عن المنكر، عاملاً بِعِلْمِه.



منهج الشيخ - رحمه الله - في الفتوى

كان – رحمه الله – يأخذ بالمشهور من مذهب الإمام أحمد – رحمه الله – فيما وافق الدليل، ويرجح ما يوافق الدليل ولو خالف المذهب، وله في ذلك مسائل مشهورة ذهب فيها إلى ما دل عليه الدليل وخالف المذهب. .

وكانت إجابته في برنامج " **نور على الدرب** " مسددة بأسلوب مبسط يفهمه السائل.

وكان – رحمه الله – بعيد النظر في الفتيا، وعميق العلم، قوي الاستدلال.

وكان المستمع يلحظ منه – رحمه الله - الاهتمام البالغ في توجيه الأمة، وعلاج الظواهر الخطيرة في المجتمع، بأسلوب حكيم رفيق، مع الاهتمام بعلاج الأخطاء، وتعليم الجاهل، بأسلوب الرحمة والشفقة مع الجاهل والمخطئ.

فكانت إجاباته مسددة بفضل من الله، فما أصدق الجواب، وما أنصح الإجابة منه – رحمه الله –.



مواقف وذكريات مع. .
سماحة العلامة ابن غصون

أخي القارئ الكريم. . إن مجالسة العلماء نعمة عظيمة على المسلم الذي وفق إلى مرافقتهم، ونهل من معينهم العذب، ولا سيما أولئك العلماء الذين زهدوا في الدنيا، واتصفوا بصفات التقوى والورع، وكانوا ناصحين لأمتهم، مشفقين عليها، آمرين بالمعروف، ناهين عن المنكر.

وقد كان أول من تشرفت بالتسجيل معه، صاحب السماحة فضيلة العلامة / **صالح بن علي بن غصون**. قدس الله روحه، ونور ضريحه، وجمعنا وإياه مع النبيين، والصديقين، والشهداء، والصالحين، وحسن أولئك رفيقا. وكان ذلك في أواخر سنة ١٤٠٥ هـ، بداية ١٤٠٦ هـ، حيث كلفت فور التحاقي بالإذاعة بتولي برنامج (**نور على الدرب**). وقد كانت المهمة صعبة علي، نظرا لعالمية البرنامج، وأهميته، ومكانته، وإمكانيات الذين قدموه قبلي. فاستعنت بالله عَجَلّ، وطلبت منه التوفيق والسداد، والإعانة. فكان ـ سبحانه ـ نعم المعين، ونعم النصير.

وقد وجدت من المسؤولين في الإذاعة – جزاهم الله خيرا- التهنئة والمباركة بمناسبة تكليفي بالبرنامج، ووجدت منهم التوجيه والدعم

في سبيل إنجاح هذا البرنامج، الذي ذاعت شهرته في بلاد الدنيا، فكان ذلك عوناً لي في مسيرتي الإذاعية على مدى خمسة عشر عاماً.

وبعد أسبوعين أو ثلاثة، اتصلتُ بفضيلة الشيخ / صالح بن غصون - رحمه الله - وأخبرته بأنني كُلِّفتُ بالتسجيل معه، نظراً لأن الزميل الذي كان يُسجل معه، قد انتقل إلى العمل في التلفزيون، وهو الأستاذ الفاضل / أحمد عبد العزيز الغامدي - حفظه الله -. وأنا الآن مُكلّفٌ بالبرنامج. فرحَّبَ الشيخ / صالح - رحمه الله - بذلك، وطلب مقابلتي. وبعد عصر يوم جمعة، التقيتُ بفضيلته لأول مرة، وكان عندي شيءٌ من الرَّهبة والخوف. غير أنني عندما رأيتُ الشيخَ، وجلستُ معه، شعرتُ بطمأنينةٍ تسري في قلبي، وهدأتْ أنفاسي المتلاحقة نظراً لحساسية الموقف. وكان المكان غاصَّاً بالعلماء و طلبة العلم، الذين قدموا للسلام على فضيلته، كعادتهم بعد عصر كلِّ جمعة، حيثُ كان يوماً مفتوحاً للسلام على فضيلته. فرحَّبَ بي الشيخُ قائلاً: مرحباً بالأخ/ عبد الكريم. وبدأ يسألني عن بلدي، ودراستي، وعملي، وبعض الأسئلة عن الحياة العائلية، وعن والديّ، فأجبتهُ عن كل ذلك. وقد أبدى الشيخ - رحمه الله - سروره بانضمامي للبرنامج، وتعاونه معي، حيثُ إنَّ هذا البرنامج فيه نفعٌ للمسلمين بتثقيفهم في أمورهم الشرعية، وأنه لا بدَّ من الاحتساب، وطلب الأجر العظيم من الله ﷻ.

وفي نهاية اللقاء، ودَّعتُ الشيخ، وقبَّلتُ رأسه، وخرجتُ وكلماتُهُ الصَّادِقَةُ، ونصائِحُهُ تسري في قلبي، وتتردد في أُذُني.

أخذتُ موعداً من الشيخ لبداية التسجيل، فواعدني بعد عصر أحد الأيام، وكنتُ أزود الشيخ بالأسئلة قبل التسجيل للاطّلاعِ عليها.

وقد كان الشيخ - رحمه الله - أنموذجاً فريداً في محافظته على المواعيد، ودقته. وانفرد الشيخ بطريقته المحبوبة لدى كثير من مُستمعيه، حيثُ يبدأ إجابة كل سؤال بحمد الله. فكان الشيخ يتحدث للمتعلم وغير المُتعلم. وكان للشيخ وقارٌ وهيبةٌ: وقارٌ عندما يتحدث، وهيبةٌ عندما ينصح ويوجِّه. وكان عطوفاً على الفقراء، والمحتاجين، والمعوزين، وكان يوصي أحد أبنائه الصالحين، بتوزيع الأرزاق عليهم، وكان يشفع لمن طلب منه الشفاعة، وقد كتب معي أكثر من مرة – رحمه الله – رحمة الأبرار، ورفع درجاته في المهديين، وأسكنه منازل الصديقين والشهداء والصالحين، وجعل قبره روضة من رياض الجنة، وجمعنا به مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.

عرفتُ الشيخ من خلال برنامج " **نورٌ على الدرب** " حريصاً على وقته. فَلَهُ دُرُوسٌ في المسجد، ويردُّ على أسئلة السائلين و المستفتين في الهاتف، ويُشارك في البرنامج بِجِدٍّ وعزمٍ و إخلاصٍ.

في أحد الأيام، و بعد صلاة المغرب، كان لي موعدٌ مع فضيلته، وعند منْزِله، وجدتُ أحد الشباب ينتظر الشيخ. وصل الشيخ، وسلم علينا واستأذنته بالدخول، فدخلت، وأخبرت الشيخ بأن الشاب ينتظر عند الباب. فقلتُ له: هل لديك موعد معه يا شيخ؟ فقال: لا. ولكن طلب مني ورقة

شفاعة في توظيفه، وخطابُه جاهز. فنادى أحدَ أبنائه لِيُعطيه الخطاب. فقال: ما أوصافه يا أبا خالد؟ قلت: عليه سيما الصالحين. فقال: الحمد لله.

في أيام حرب الخليج و في ذروتها، كنا نُسجل البرنامج مع فضيلته ليلاً، وكان لسانه قبل التسجيل وبعده لا يفتر عن ذكر الله، والدعاء لهذه البلاد المُباركة بالنصر والتمكين، والعزة، والرفعة، وأن يحفظها الله من كيد الأشرار والأعداء. وقد سمعته يلحُّ بالدعاء كثيراً بأنْ يحفظ الله هذه البلاد، قِبْلَةَ المسلمين، ومأوى أفئدتهم، ومُنْطَلَقِ رسالة التوحيد.

لا أذكر أنَّ الشيخ - رحمه الله - اعتذر يوماً عن التسجيل، أو سوَّف، أو تراخى على مدى ١٤ سنة، إنما هي هِمَّةُ الرجال (دعوةٌ و عملٌ) في بذل الخير و نفع المسلمين، رجال عاهدوا الله على المضي في الطريق الصعب، فاشتروا الآخرة، وعملوا لها.

شارك معي الشيخ - رحمه الله - في برامج متعددة سواء في المناسبات أو غيرها، (نورٌ على الدرب)، (أهل الذكر)، (في الحج ورمضان)، أحاديث عامة - مقابلات وغيرها.

كان الشيخ - رحمه الله - مُحِبًّا لإذاعة القرآن الكريم، فكان قبل كل تسجيل يسألُ عن الجديد في إذاعة القرآن الكريم، وعن برامجها ومواعيدها.

وكان فضيلته - رحمه الله - يُخصص لي أسبوعين كاملين عدا الجمعة في بعض الأحيان، لأنه يجتمع بأولاده وأسرته، فكان يُسجلُ حلقات الدورة الإذاعية كاملة (٢٤ حلقة) دون كللٍ أو مَللٍ.

كان الشيخ - رحمه الله - كريماً، جواداً، لا يبخل على أحد بشيء من ماله أو جاهه.

وقد كان فضيلته - رحمه الله -، في كل لقاء يذكِّر بالنعم العظيمة التي تنعم بها هذه البلاد المباركة، وأعظمها نعمة الأمنِ والاستقرار، فيُكثر من الثناء والحمد للمتفضِّل بها ويحثُّ على حفظها وشكرها دائماً.

وقد كان فضيلته - رحمه الله - قبل التسجيل، وبعده، يكثر من الدعاء لولاة الأمر - حفظهم الله - على ما يقدمونه من نصرةٍ للإسلام والمسلمين، في مشارق الأرض ومغاربها، وعلى ما يولونه من اهتمام بالعلماء، وطلاب العلم، وعلى عنايتهم بهذه الإذاعة المباركة، ورعايتهم للقرآنِ وأهلِه.

وفي أحد الأيام بثّ التلفزيون السعودي على الهواء مباشرةً، حملة خادم الحرمين الشريفين، لِنُصرة المسلمين في البوسنة والهرسك، فشارك معي فضيلته على الهاتف بكلمة مؤثرة، حثَّ فيها المسلمين على التبرع لإخوانهم المسلمين في البوسنة والهرسك، ونصرتهم بالمال والدعاء، وبِكُلِّ ما يستطيعونه. ثم دعا لِوُلاة الأمر، وشكر لهم اهتمامهم بقضايا الأمة، ونصرة المسلمين في جميع أنحاء العالم.

وقد تعلمتُ من الشيخ - رحمه الله - كيف يكون المسلمُ حريصاً على الدعوة إلى الله، وعلى أهمية الوقت في حياة المسلم، واحترام المواعيد، والدقة فيها.

سافر الشيخ للعلاج عام (١٤١٣ هـ)، واستمرَّ عِدَّة أشهر، ثم رجع مِنْ رحلته العلاجية، وقد كُلِّلَتْ بالنَّجاح التام - والحمد لله -، فاستقبله محبُّوه وزُوَّارُه للسلام عليه، والتهنئة بالشفاء.

في ذلك الوقت كنتُ أسَجِّلُ البرنامج (**نورٌ على الدرب**) مع فضيلة العلامة الزاهد الورع / **صالح بن فوزان الفوزان**، - حفظه الله ورعاه-، عضو هيئة كبار العلماء، فأخبرته بأن فضيلة الشيخ / **صالح بن غصون** قد عاد من سفرته، فقال الشيخ الفوزان: لعلنا نزور الشيخ بعد غد العصر.

قُمْنَا بزيارة الشيخ/ **صالح بن غصون**. برفقة فضيلة الشيخ/ **صالح الفوزان** - حفظه الله - وكان المنزل غاصًّا بالناس الذين قَدِمُوا للسَّلام على الشيخ / **ابن غصون** - رحمه الله - فتعانَقَ الشيخان، وهنَّأ الشيخُ / **الفوزان**، الشيخَ / **ابن غصون**، بتمام الشِّفاء والعودة.

و أثناء علاج الشيخ خارج المملكة، كان أولادُه -جزاهم الله خيراً - يتصدقون، وينفقون، ويتفقدون المحتاجين، ويُساعدوهم بِأمْرِ الشيخ - رحمه الله -، وما زال فعلهم مستمراً. أجزل الله لهم المثوبة والأجر.

وبعد شهر من عودة فضيلته - رحمه الله - استأذنتُه باستئناف حلقات جديدة من برنامج (**نورٌ على الدرب**)، فكان فضيلته كعادته شُعْلَةً في بَذْلِ الخير ونفعِ الأمَّةِ، فَوَافَقَ على الفور، وحدَّد موعداً للتسجيل، وبدأنا بتسجيلِ الحلقات الجديدة دونَ كَلَلٍ أو مَلَلٍ.

وأثناء سفر الشيخ للعلاج خارج المملكة مدة طويلة، لم يتوقف البرنامج خلال تلك الفترة، فكنا نعيد من حلقاته القديمة، وكأنها سجلت للتو، فكنا نعيد من قديمه الجديد، نصائح و توجيهات، و دروسا وعبرا.

خلف الشيخ – رحمه الله – أبناء بررة لم أر مثلهم في البر والصلة لوالدهم الشيخ، فقبل الأذان بدقائق، يسارع أحدهم بإحضار حذائه، وعصاه، ويقف أمام باب المجلس الذي نسجل فيه، فينهض الشيخ، ويمسك ابنه بيده، ويقرب الحذاء، ويعطيه عصاه، ويذهب به إما إلى السيارة خارج المنزل، أو إلى المسجد، إذا كانت السيارة غير مهيأة.

اتخذ الشيخ – رحمه الله – سائقا له، وكان موفقا في اختياره لهؤلاء السائقين، من حيث دقة المواعيد والالتزام، ومعرفة أوقات الشيخ ومواعيده. فكان السائق يتأثر بحياة الشيخ. أذكر أنني في أحد الأيام جئت مبكرا، فوجدت السائق عند باب الشيخ، وأخذنا نتجاذب أطراف الحديث – وكان السائق من جمهورية مصر العربية، من محافظة المنصورة، وهو رجل هادئ الطبع، طيب الحديث، ودود – فأخبرني هذا السائق بأنه مسرور بخدمة الشيخ، والعمل معه، نظرا للأخلاق العالية، والتعامل الرفيع من الشيخ معه.

كان للسائق حجرة يسكن فيها لها باب على الشارع، ومنفصلة عن البيت، فكان يخرج قبل الأذان بدقائق ويقف عند السيارة فاتحاً الباب الخلفي، استعداداً لركوب الشيخ، حيثُ كان - رحمه الله - يركب في الخلف، ويركب أحد مرافقيه من أبنائه في المقدمة.

كان الشيخ يحرص على إيقاف التسجيل قبل الأذان بدقائق، استعداداً للصلاة، ومِنْ ثَمَّ نُكمل التسجيل بعد الصلاة. وكان الشيخ يحرص على الذهاب إلى المسجد ماشياً على قدميه، يُرافقه أحد أبنائه، آخذاً بيده، إلا إذا أحس الشيخ بتعب، فإنه يستقلُّ السيارة.

خَصَّص الشيخُ عصر كل جمعة لاستقبال الناس للسلام عليه، والنظر في حوائجهم، والإجابة على أسئلتهم الشرعية.

رُزِقَ الشيخُ بأولادٍ وبنات، لهم مكانتهم في المجتمع. فمنهم الطيَّار، ومنهم رجلُ الأعمال، ومنهم الموظف بمرتبةٍ عالية، ومنهم المُدَرِّس، و أمَّا البنات، فهنَّ كذلك بناتٌ صالحات، يشغلن وظائف مرموقة في المجتمع. بارك الله في أولاده وبناته جميعاً.

كان لوالدي - حفظه الله - الشَّرفُ، حيثُ التَقَى بالشيخ في مسجده، شرقَ ملعبِ الملز، بعد صلاة الظهر في أحد الأيام، فقبَّل والدي رأس الشيخ، ودعا له. فكان الشيخ مبتسماً طوال فترة الحديث مع والدي.

وقد بالغ الشيخ في الثناء عليَّ عند والدي، وعلى جهودي في الإذاعة، وأصرَّ فضيلته - رحمه الله - أنْ نُرافقه إلى منزله. ولكن الوقت لم يكن مناسباً فاعتذرنا للشيخ وودعناه.

كان الشيخ - رحمه الله - قبل التسجيل، كثيرا ما يسأل عن والدي، ووالدتي، وإخواني، فأجيبه بأنهم بخير، ويسلمون عليه.

وكان بعض الأقارب يطلبُ مِنّي - بصفتي قريباً من أصحاب الفضيلة العلماء - أن أشفع لهم، أو يطلبوا شفاعة في موضوع ما، فأتحدث مع فضيلته، فكان الشيخ - رحمه الله - لا يتوانى في أيِّ طلبٍ أطلبه.

وكنتُ أعودُ الشيخ للسَّلام عليه في المناسبات، والأعياد، وغيرها. أما إذا كنت خارج الرياض، فكنت أُكلمه في الهاتف، فلا أسمع منه بعد الإجابة على السلام إلا: أهلاً بأبي خالد.

زرنا الشيخ في عام ١٤١٨هـ، أول أيام عيد الفطر المُبارك بعد صلاة المغرب، وكان بصحبتي فضيلة الشيخ / عبد العزيز بن محمد الحامد (مدير شؤون الموظفين في القوات البحرية). وكان المجلس غاصاً بأصحاب الفضيلة العلماء، وطلاب العلم، ممن قَدِمُوا لِمُعَايدة فضيلته - رحمه الله -، وكان يدعو بعد الإجابة على السلام: تقبلَّ اللهُ مِنَّا ومنكم.. جعلكم الله مِنْ عُوَّادِهِ..

كان للشيخ الفضل بعد الله ﷻ حيثُ إن أحد الأقارب حصل له انكسار في محلاته التجارية، ولَحِقَتْهُ ديونٌ عظيمة مِنْ جرَّاء سيولٍ داهمتْ مستودعاته التجارية، فتحدثْتُ مع الشيخ عنه، فكتب له توصيات، وكتب إلى أصحاب الفضيلة العلماء، للكتابة معه حتى فرّج الله عنه، وقضى دينهُ. ومازال هذا الشخص يدعو له، حتى يومنا هذا.

كان الشيخ - رحمه الله - مُقَدِّراً لظروف عملي في الإذاعة، فكنتُ في بعض الأيام أطلب من فضيلته أن يُغيِّر موعد التسجيل، لظرف طرأ، أو التزامٍ مُفاجئ. فلا أجدُ مِنْ الشيخ إلا الموافقة، بقوله: أبداً يا أبا خالد. . حدِّد الوقت الذي يُناسبك.

كان الشيخ - رحمه الله - يحرص على تهيئة الجو المُناسب للتسجيل. ففي الصيف تكون درجة الحرارة مرتفعة، ويكون المجلس حاراً، فيأمر الشيخ بتشغيل المُكيف قبل التسجيل فترةً لتبريد المكان، حتى يبدأ التسجيل. لأنَّ صوت المُكيف يؤثر على الصوت. وفي الشتاء يكون التسجيل في أحد المجالس الدافئة.

وكان - رحمه الله - يوصي أحد أبنائه عند كل تسجيل بإحضار الماء، والشاي، والقهوة، والتمر. .

وكان الشيخ - رحمه الله - يولي جميع الرسائل العناية والاهتمام. وكانت بعض الرسائل تتضمن أحاديث، يسأل فيها أصحابها عن صحتها، فكان الشيخ يُرجئها حتى يبحث فيها، ويتأكد من صحتها، ثم يُجيب عليها.

كان الشيخ/ صالح - رحمه الله - شديد المحَبَّةِ لسماحة العلامة الإمام/ عبد العزيز بن باز - رحمهما الله جميعاً -، فكان يسأل عن صحته

عند كل تسجيل، وكان يحرص على سماع شرح الشيخ رحمه الله لكتاب "**المنتقى** "، ويولي موعده اهتماما كبيرا.

وكان فضيلته يصحح لي بعض الملحوظات التي قد تخفى علي في البرنامج. وكثيرا ما سمعت من فضيلته الإطراء،والتشجيع على نشاطي. حيث أبدى فضيلته رغبته في الاستمرار معي في التسجيل، ما دمت في الإذاعة.

وفي إحدى الليالي الممطرة، في أحد الأعوام، وأثناء التسجيل للبرنامج، استمرَّت الرُّعودُ متصلة، فتوقَّفنا عن التسجيل فترة ربع ساعة تقريباً، فأخذ الشيخ يدعو، ثم سألني: يا أبا خالد. .المطرُ قوي؟ فقلتُ: نعم، يا شيخ. فقال: اللهم اجعله صيِّبا نافعاً. ثم ابتسم الشيخ - رحمه الله -. ثم واصلنا التسجيل، بعد أن سكن الرَّعد.

لقد اتصف الشيخ صالح بن غصون – رحمه الله – بالزهد والورع والتقوى، فقد طلبتُ منه أن يشاركني في برنامج في التلفاز، كضيف لبرنامج "سؤال على الهاتف "، فقال: يا أبا خالد. . لعلك تجد من العلماء من يقوم مقامي ويشاركك، ففيهم الخير والبركة والنفع؟ فقلتُ: وأنت فيك الخير ياشيخ صالح، فلا تحرم الناس من الخير والفضل والعلم. فابتسم الشيخ – رحمه الله، وكان هذا تواضعٌ منه – ثم وافق وشارك معي في دورة كاملة في برنامج سؤال على الهاتف، في التلفاز، صوتاً بدون صورة، حيث كنتُ أطرح على فضيلته الأسئلة من داخل الاستديو، وهو في منْزله، عبر الهاتف. فرحمه الله رحمة الأبرار.

كان الشيخ صالح – رحمه الله – محباً وحريصاً على إدخال السرور والفرح على من حوله، وهذه من صفات المؤمنين الأتقياء، فقد كان لطيفاً مع جلسائه، له ابتسامةٌ مشرقة، تضفي على المجلس راحة وانسجاماً. ففي أحد أيام عيد الفطر المبارك كنا في زيارة للشيخ، وكان بصحبتي فضيلة الشيخ / عبد العزيز بن محمد الحامد، مدير شؤون الموظفين في القوات البحرية، حيث كان الشيخ / عبد العزيز الحامد كثيراً ما يعينني على نفسي في زيارة العلماء وطلاب العلم في المناسبات وغيرها، فذهبنا إلى فضيلة الشيخ / صالح بن غصون – رحمه الله – وكان مجلسه غاصاً بمحبيه وطلاب العلم، فقال أحد المشايخ الموجودين في المجلس: يا أخ عبد الكريم. . لقد طلبتُ منك منذ فترة شريطاً لمحاضرة أُذيعتْ عندكم في يوم كذا وكذا، ولم أجد جواباً؟ فاعتذرتُ لهذا الشيخ بلباقة، لنسياني ولكثرة مشاغلي وارتباطاتي التسجيلية، فساعدني الشيخ / صالح بن غصون معتذراً قائلاً: الله يعينه أبو خالد. . اعذروه.. ما يدري ويش يبدِّي.. أعماله كثيرة.. الله يوفقه. فتبسم الجميع، وشكرتُ الشيخ صالح على تلطفه واعتذاره عنِّي.

كان الشيخ صالح – رحمه الله – يحرص دائماً على حسن الاعتناء بمظهره، وهندامه، فملبسه أنيقٌ صيفاً وشتاءً، ساعده على ذلك تناسق جسمه النحيف.

كان الشيخ عند انتهائه من تسجيل حلقتين، يقوم فأساعده على القيام، وأثناء قيامه يدعو ويقول: يالله حُسن الخاتمة. فأُمسك بيده لِيخرُج من مجلس التسجيل، ويذهب إلى داخل الدار، فكان يضع عصاه عند باب

المجلس الذي نُسجِّل فيه، وبعد الانتهاء من التسجيل وأثناء الخروج من المجلس كان – رحمه الله – يعرف مكان العصا والحذاء جيداً، حيثُ كانت عنده بصيرة في قلبه – رحمه الله –.

كان التسجيل مع فضيلته لبرنامج " **نور على الدرب**" يبدأ في الصيف بعد صلاة المغرب مباشرة، حيث كنتُ أصلي المغرب في مسجده المعروف باسمه – مسجد ابن غصون –، شرق ملعب الملز، ثم نبدأ التسجيل، أما في فصل الشتاء فقد كان التسجيل بعد صلاة العشاء مباشرة، وفي بعض الأيام كان فضيلته يبدي رغبته في أن يكون التسجيل عند الساعة الحادية عشرة صباحاً، حتى موعد صلاة الظهر، وهذا إذا لم يكن لديَّ تنفيذ فترات أو عمل في إذاعة القرآن الكريم.

في مزرعة الأخ / إبراهيم في عنيزة، كنت ألتقي بأحد الأخوة المصريين العاملين في المزرعة، ويعلم أنني أعمل في الإذاعة، فكان يحدثني عن برنامج " نور على الدرب " وأنه من المستمعين الجيدين، وكان معجبا بأسلوب الشيخ صالح – رحمه الله – وبطريقته. يقول هذا المزارع بأنه لا تفوته أي حلقة من حلقات الشيخ ابن غصون، وكان يتحين وقت البرنامج للاستماع إلى حلقة الشيخ والاستفادة منها، إذ كان يترك جميع أعماله ليتفرغ لسماع الحلقة، حيث كان لصوته المميز أثر في اشتياق كثير من المستمعين له، ورغبتهم في عرض أسئلتهم عليه – رحمه الله –، لما يجدونه من صدق في المشاعر، وتفاعل الشيخ مع السائل في سؤاله.

كان الشيخ - رحمه الله - في معالجته لبعض القضايا الأسرية وبعض الرسائل، وخصوصا رسائل الأخوات المستمعات اللاتي يشكين من أزواجهن بسبب السهر خارج المنزل أو عندهم بعض المخالفات الشرعية، فكان الشيخ - رحمه الله - يبدي مزيدا من الحرص والتوجيه والنصح لهؤلاء الأزواج، وكثيرا ما كان يبسط القول ويضرب الأمثلة للاعتبار والاتعاظ، فكان يحدثني الشيخ ويقول: يا أبا خالد أشد شيء يحز في نفسي أولئك الأزواج الذين يسيئون إلى زوجاهم، أو يضربوهن، أو يظلمونهن، أو يأخذون من رواتبهن زورا وبهتانا. لذلك فقد كان مستمعوه يشعرون بصدق الأحاسيس، ودفء المشاعر، من خلال إجابته على الرسائل التي تتعلق بالأسرة. يحدثني أحد طلاب العلم ويقول: يا أبا خالد، أنا مستمع لبرنامج "**نور على الدرب**" وأجد أن سماحة العلامة ابن غصون – رحمه الله– يتميز كثيرا عندما يجيب على أسئلة الأسرة، فأجد أن الشيخ يتفاعل مع الرسالة كونه **أولا**: له تجربة طويلة في القضاء. **وثانيا**: سعة الأفق والفهم العميق، وسهولة الأسلوب الذي يتحدث به الشيخ، فهو لا يتكلف في الإجابة، فكلماته وتوجيهاته تجد مكانها في القلب، وما خرج من القلب وصل إلى القلب. فكان الصدق شعاره، والإخلاص رائده. فكان مدرسةً للأمة، يعلّم الجاهل، ويُرشدُ الضال، ويجيب المستفتي، وينصح ويأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، حيثُ اشتُهر الشيخ - رحمه الله – في علاج

قضايا الأسرة والزواج والمشاكل الاجتماعية، حيثُ يجدُ صاحبُ المشكلة عند الشيخ الحلَّ الناجع، والأسلوب الأمثل في علاجها.

كان الشيخ صالح - رحمه الله - بسيطاً في تعامله، يحبه القلب من أول وهلة، حريصاً على إدخال السرور على الصغار ومداعبتهم ومؤانستهم، فكثيراً ما كان يَدخل علينا الصغار من أبناء أبنائه أو أبناء بناته قبل التسجيل بدقائق، فيمازحهم ويداعبهم، اقتداءً بالرسول ﷺ في معاملته مع الصغار. وفي ذات مرة ــ وقبل التسجيل ــ دخل علينا طفلٌ صغيرٌ في الخامسة أو السادسة مِنْ عُمره، وهو حفيدُ الشيخ، وأثناء تركيبي لأجهزة التسجيل وترتيبي لِلاَقِطَاتِ الصوت، بدأ هذا الطفل يسأل: ما هذا؟ وما هذا؟ وماذا تعملون؟ كَعَادَةِ الصغار في حُبِّ الاطِّلاع على الأشياء الغريبة، والشيخ طول الوقت في غاية السعادة والانسجام والاستماع لأسئلة هذا الطفل، فقلتُ له: بارك الله فيك يا شاطر. نريد أن نسجل مع الشيخ، فهل ستذهب مع الصغار داخل الدار أو تجلس وتسكت ولا تتكلم؟ فقال الطفل: يا الله سجِّلْ صوتي. فقال الشيخ - رحمه الله -: يا أبا خالد الشكوى على الله. . سَجِّلْ له. فأعطيتُه الميكرفون ووضع السماعة قريبةً جداً من فمه، وقرأ بسرعة سورة الفاتحة والشيخ تبدو على ملامحه السعادة والرضا، فلمَّا انتهى الطفل من القراءة، أعدتُ له الشريط وقلتُ له: اسمع صوتك، بارك الله فيك. ففرح الطفل عندما سمع صوته، وتهلّل وجهه، فقال الشيخ: ما شاء الله. . ما شاء الله. . وضمَّه الشيخ إلى صدره، ثم قبَّله وهو يبتسم. وتلطَّفنا مع الطفل حتى خرج، ثم بدأنا التسجيل لذلك اليوم.

انفرد الشيخ – رحمه الله – بأسلوب ممتع، وبطريقة محببة، إلى كثير من المستمعين، فكانت حلقة يوم الثلاثاء لفضيلته متميزة علماً وصوتاً ومعالجةً للقضايا، وكانت تُعاد نفس الحلقة مساء يوم الخميس في إذاعة نداء الإسلام من مكة المكرمة بعد الساعة السادسة مساءً.

كان للشيخ ـــ رحمه الله ـــ دروس متنوعة ومتعددة في مسجده المعروف باسمه، وذات مرة دخلتُ المسجد قبل صلاة العشاء، وكان إمام المسجد يقرأ عليه في أحد الكتب، والشيخ يشرح ويفسِّر للحضور ما قرأ الإمام مِنْ آيات قرآنية، وأحاديث نبوية. فكان – رحمه الله – أنموذجاً للعالِم المحتسب، فنفع الله بعلمه الأمة، وانتفع به العامِّي والمتعلم.

كان الشيخ محبوباً لدى الكثير من العلماء وطلاب العلم والعامة والخاصة، وأذكر أنه بعد صلاة الظهر في مسجده في أول أيام عيد الفطر المبارك لأحد الأعوام، اِلتفَّ حوله جمعٌ غفيرٌ من محبِّيه للسلام عليه وتهنئته بالعيد، فكان الشيخ طوال الوقت يسلم على هذا، ويدعو لهذا، ويقول: تقبَّل الله منَّا ومنكم. . جعلكم الله من عوَّاده. .

في أحد اللقاءات التي أُجريت مع الشيخ لتسجيل حلقة من برنامج " **نورٌ على الدرب** "، كان الشيخ متعباً بعض الشيء، فقلتُ للشيخ: هل تريد أن تؤجل التسجيل؟ فقال الشيخ: لا، بل توكل على الله. . فبدأنا التسجيل، فكأن الشيخ اِزدادَ نشاطه وحيويته، فسجَّلنا حلقتين، وعندما انتهينا قال الشيخ: يا أبا خالد. . كم سجَّلنا؟ فقلتُ: سجَّلنا حلقتين. فقال

الشيخ – رحمه الله -: الحمدُ لله يا أبا خالد. . العزائم معها الغنائم. وكانت عبارة يرددها بين الفينةِ والأخرى، فقد كان حريصاً على نفع الأمة.

في إحدى المرات التي كنا نسجِّلُ فيها حلقات من برنامج " **نورٌ على الدرب** "، كان الشيخ صالح السدلان – حفظه الله ورعاه – قد بدأ في المشاركة في برامج الإذاعة والفتاوى، فقال لي الشيخ صالح بن غصون – رحمه الله – قبل التسجيل: يا أبا خالد. . بدأتَ التسجيل مع الشيخ / صالح السدلان؟ فقلتُ: نعم يا فضيلة الشيخ، وأسأل الله أن ينفع بعلمه. فقال الشيخ – رحمه الله -: أسأل الله أن ينفع به. تُعجبني طريقةُ طرحِه للموضوعات. الله يوفقه.

كان الشيخ – رحمه الله – يهتم كثيراً بالجانب العقدي للمسلم، فعندما كنتُ أعرض عليه بعض الأسئلة التي تصلنا من بعض بلاد العالم الإسلامي، ويسأل فيها أصحابها عن بعض البدع والخرافات والشركيات، كالطواف بالقبور والأضرحة، وتقديم النذور لها، وتعظيم الأولياء والصالحين، كان الشيخ – رحمه الله – يحزن ويألم لهذا الحال، وما أوصل كثيراً من الناس إلى مثل هذه الاعتقادات الباطلة، فكان يبيِّن الحكم الشرعي فيها مستدلاً بالكتاب والسنة، وكان – يرحمه الله – يوليها مزيداً من الاهتمام والعناية، حتى إنني أذكر أنه تناول في حلقة واحدة سؤالين فقط، حيث بسط القول فيهما، نظراً لأهمية ترسيخ العقيدة وبيانها في قلوب كثيرٍ من الناس.

كان الشيء الذي يلفتُ انتباهي عند أجوبة الشيخ - رحمه الله - أنه كلما جاء سؤالٌ – أثناء تسجيل برنامج "**نورٌ على الدرب**"- عن برٍّ الوالدين وحقوقهما، أجدُ الشيخ في حديثه يتكلم من أعماق قلبه، ففي إحدى الحلقات تكلم الشيخ عن عقوق بعض الأبناء، وأفاض في الحديث، وكاد يبكي نظراً لكثرة الرسائل التي يشكو فيها كثيرٌ من الآباء جحودَ أبنائهم. فكان الشيخ – رحمه الله – له تأثيرٌ عندما ينصح ويوجِّه. فقد تميَّز الشيخ صالح – رحمه الله - بالأسلوب المؤثر وصدق المشاعر، فيجدُ السائلُ في إجابات الشيخ الحنان، والعطف، ودفء المشاعر، والنصيحة الصادقة، والأسلوب المؤثر، الذي يأخذُ بِمَجَامِعِ القُلُوب، ويؤثِّرُ في النفوس.

كان الشيخ – رحمه الله – مربياً من الطراز الأول، استفاد من تجاربه في الحياة، قاضياً، وداعيةً، وناصحاً، ومشفقاً على أمته. فقد كنتُ أسجل مع الشيخ صالح على مدار الأسبوع عدا الجمعة، فقلتُ: يا شيخ صالح. . هل من الممكن أن نسجل يوم الجمعة أيضاً بعد صلاة المغرب؟ فقال الشيخ: لا يا أبا خالد، هذا اليوم مفتوحٌ للناس للسلام والإجابة على أسئلتهم، وأيضاً هذا اليوم يجتمع فيه الأولاد والأسرة. فقلتُ له: سمعاً وطاعة.

كان الشيخ – رحمه الله – يتأثر كثيراً من أولئك النفر الذين يُسرفون في الولائم، سواءً في الحفلات أو في المناسبات، فكان لا يحبُّ التفاخر ولا الإسراف في حفلات الزواج، وكان يحذِّر من هذه العادات السيئة، ويحثُّ على الاعتدال والاقتصاد، وأنَّ أساس الزواج هو المحبة بين الزوجين،

والتفاهم فيما بينهما، وأداء العبادات والطاعات، وتقدير كل من الزوجين للآخر. فكان يحذِّر من الإسراف والمباهاة، وكان يدعو ويحثُّ على أن يكون الزواج معتدلاً دون إسراف ولا تبذير، وكان يؤكد أن أساس نجاح وسعادة الزوجين، طاعة الله وأداء العبادات، واحترام الزوجين لبعضهما.

وفي إحدى الليالي وبعد التسجيل، طلب منِّي فضيلته أن أتناول معه طعام العشاء قائلاً: يا أبا خالد. . جميع زملائك الذين سبقوك في تقديم البرنامج تناولنا معهم طعام العشاء وأنت من باب أَوْلى. فحـدَّد فضيلته إحدى الليالي، وكان هذا في فصل الشتاء، حيثُ جلسنا مع أولاده على مائدةٍ متنوعة، رُوعي فيها التنوع وعدم الإسراف. فرحمه الله رحمة الأبرار.

كان الزميل / سعد بن عبد العزيز بن خميس، مهندس الصوت في الإذاعة، ورفيق الدرب معي في الإذاعة، كان له الشرف في مقابلة الشيخ – رحمه الله –، حيث أبدى رغبته في مقابلة الشيخ والسلام عليه، نظراً لأنه كان يشرف على إنتاج حلقات برنامج " **نورٌ على الدرب**" مع فضيلته، فقلتُ له: يا أخ سعد. . الشيخ يرحبُ بأيِّ شخص، وفي أيِّ وقت، ولكن اخترْ الوقتَ المناسب لزيارته. وفعلاً حدث ذلك، حيث حدَّد الأخ / سعد موعداً مع الشيخ والتقى به. يحدثني الأخ / سعد، عن هذا ويقول: يا أبا خالد. . أمنيةٌ وتحققت، ولله الحمد. حيثُ كنتُ أودُّ أن أنفرد بالشيخ، وتحقق هذا، حيث كان موعدي معه بعد صلاة الظهر في مسجده، ومعه أحد أولاده، فاستقبلني ورحَّب بي عندما عِلم أنني من منسوبي الإذاعة،

وأخذنا نتجاذب أطراف الحديث، فكان يسألني عن أهلي وأولادي وأموري. فكان رحمه الله لطيفاً بحديثه الأبوي معي، وتواضعه الجمٍّ، وابتسامته المشرقة، حيثُ طرحتُ على فضيلته موضوعاً يخصُّني، فساعدني فيه، فشكرتُه وقبّلتُ رأسه، ثم دعا لي الشيخ بالتوفيق والسداد. وأذكرُ أنه كان ممن حضر معي للسلام على فضيلته في منزله الأخ الأستاذ / حمد بن عبد الله القاسم، الموظف في وزارة الإعلام، حيثُ استقبلنا فضيلته في منْزله، وقد طرح الأستاذ حمد موضوعاً خاصاً به.

كان الشيخ – رحمه الله – واسع الاطلاع، ليس في الأمور الشرعية فحسب، بل كان يتحدثُ عن المجالات العلمية والتاريخية وغيرها. . وكان يُبدي رأيه في المواضيع المطروحة، ويناقش، ويفسح المجال للآخرين للمناقشة. والشيخ مستمعٌ جيد لِمُحدِّثه، لا يقاطعه، بل يحترم رأي الآخرين. وله مشاركاتٌ في الساحاتِ الاجتماعية، حيث أجريتُ معه لقاءً مطولاً عن بعض القضايا الاجتماعية، وكان ذلك اللقاء لإحدى الصحف التي كنتُ أعمل بها متعاوناً.

كان الشيخ – رحمه الله – يتحامل على نفسه، من أجلِ نفع الأمة، وتقديم الخير لها، حتى آخر أيامه – رحمه الله –، حيثُ كانت ظروفه الصحية لا تساعده، ومع ذلك لا يعتذر عن التسجيل، ويقول: نريدُ أن ننفع المسلمين بهذا البرنامج – يعني برنامج " **نورٌ على الدرب** " – يا أبا خالد،

فقد نفع الله به خلقا عظيما، وأريد أن أقدم شيئا لآخـــرتي. . فرحمـــه الله رحمة الأبرار، وجعله مع البررة الأطهار.

تواضع الشيخ – رحمه الله – :

كنت أضع عقالي وغترتي قبل التسجيل على الكنبة القريبة مني ومن الشيخ، وذات مرة، وبعد الانتهاء من التسجيل، وضع الشيخ يده على الكنبة فوجـــد العقال والغترة فأخذ العقال، ووضعه على رأسه، فتبسمت وقلـــت: ما شاء الله، ما شاء الله. .

كان الشيخ – رحمه الله – يتناول معي – في الأعـــوام الأولى مـــن التسجيل – شيئا من القهوة والتمر، أو الشاي، ولكن بعد إجراء العمليـــة، توقف عن ذلك تماما.

وفي نهاية أحد التسجيلات سألت الشيخ: يا شيخ صالح: هل تتناول علاجا كثيرا من جراء عملية زراعة الكبد التي قمت بـــها؟ فقـــال: نعـــم، يا أبا خالد. وكنا واقفين، فقال: هات يدك، فوضعها على بطنه، فقال: مـــن هنا موضع العملية إلى هنا. رحمه الله رحمة واسعة.

****

الشيخ في آخر حياته :

زرت الشيخ في مستشفى الملك فهد بالحرس الوطني عدة مـــرات، فوجدته صابرا محتسبا الأجر عند الله. لسانه لا يفتر عن ذكر الله، و الحمد، و الشكر، و التهليل، و التكبير. و كان هذا في المرة الأولى.

أدخل الشيخ إلى مستشفى الملك فهد بالحرس الوطني، حيث عاوده المرض، فلزم الفراش هناك فترة، وبدأ العلماء يزورونه ويترددون عليه. وكان أولاده البررة يتناوبون على مرافقته - جزاهم الله خيرا -. وقد زرت الشيخ عدة مرات، فكان الناس ومحبو الشيخ يسلمون على الشيخ في جناحه الخاص، ويدعون له، ثم ينصرفون وألسنتهم تلهج بالدعاء للشيخ، فقد كان للشيخ محبة وقبول عند المسلمين.

أذن لي أحد أبنائه - حفظهم الله ورعاهم - في الزيارة الأخيرة، بالدخول على الشيخ، فدخلت عليه، وسلمت عليه، ودعوت له بأن يجمع الله له بين الأجر والعافية، حيث كان قد خرج لتوه من دورة المياه متوضئا، يريد أن يصلي، وأثر الإيمان على وجهه المشرق. فرد علي الشيخ - رحمه الله - قائلا بصوت متهدج قد بدا عليه الإعياء والتعب: مرحبا يا أبا خالد. ثم جلس الشيخ على كرسيه ذاكرا الله ﷻ، مسبحا ومهللا. فدعوت له وخرجت من عنده وقد غلبني البكاء.

وفي فجر يوم الأحد، الموافق: ١٤١٩/١٢/١٨هـ، وبينما كنت في استديو إذاعة القرآن الكريم، لتنفيذ فترة العمل الصباحية، وبعد أن وصلتني صحف ذلك اليوم، وبينما كنت أتصفح الجريدة، وقعت عيناي على خبر كتب بخط عريض، وهو نعي فضيلة الشيخ / صالح بن علي بن غصون. وكان الخبر محزنا لي ،فلم أتمالك نفسي، ولكنه قضاء الله وقدره، ولا راد لقضائه، فحزنت لموت الشيخ، وتألمت لفقده، و لم أستطع أن أكمل فترتي لهول الفجيعة، ثم اتصلت بي أم خالد (زوجتي) في العمل مخبرة لي بأن

أحد أبناء الشيخ اتصل مخبرا عن وفاة الشيخ صالح، وأنهم سوف يصلون عليه في جامع الراجحي. فترحمت على الشيخ، ودعوت له بالمغفرة والرحمة.

وفي جوٍّ روحاني، وجوٍّ إيماني، وموقفٍ عظيم، وفي حشدٍ مبارك، مِنْ علماء مخلصين، وطلاب علمٍ وعامَّةٍ، صغاراً وكباراً، شُيعت جنازة سماحة العلامة الشيخ / صالح بن علي بن غصون - رحمه الله - بعد عصر ذلك اليوم الأحد ١٤١٩/١٢/١٨هـ، حيثُ وافاه الأجل المحتوم في مساء يوم السبت، الموافق: ١٤١٩/١٢/١٧هـ، بعد مُعاناة مع المرض. نسأل الله أن يجعلها رفعةً في درجاته، وتكفيراً لسيئاته.

وفي عصر ذلك اليوم، ودَّعنا علماً من أعلام الأمة المسلمة، علَماً أعطاها علماً نافعاً، ومعرفة واسعة، وقوةً لا تعرف العجز أو الخور. وعبَّرتْ الأمَّة عن حزنها الشديد، وألمها البالغ، بفقد عالمها الجليل - فَمَوْتُ العالم، نجمٌ طُمِسَ، وثُلْمَةٌ في الدِّين - بمثل ذلك الجمع المُبارك الذي احتشد في جامع الراجحي بمدينة الرياض، قبل صلاة العصر بساعات، حيثُ امتلأ المسجد قبل ساعات من صلاة العصر، وازدحمت الطرقاتُ والمواقف المُحيطة به، والساحات المُجاورة، بمحبِّي الشيخ: علماءَ و طلبةَ علم، شيباً وشباباً، خاصةً و عامةً، ممن أحبُّوا الشيخ في الله، لِعِلْمِه و دعوته. فجاءوا من كل مكان، ومن كل بلد، لِيُشَيِّعُوا جنازة عالِمهم الجليل، ويَحملوها على أعناقهم وأكتافهم. فلقد كانت هذه الجموع وهي تسير إلى المقبرة راجلةً وراكبةً، وهي تودِّع الشيخ الجليل، صورةً مؤثرةً، صورةً تُبَرْهِنُ لِلْعَالَمِ كلِّه كيف تُحبُّ هذه الأمةُ عُلماءَها، وتُوقِّرُهم، وتُجِلُّهم. فهُم مصابيح الدُّجى، وأعلام الهدى.

وهناك مِن طلاب العلم ومحبِّي الشيخ، مَنْ لم يسعفهم الوقتُ لحضور جنازة الشيخ، فَدَعَوا له، وترحَّموا عليه، وأسبلوا العبراتِ على الوجناتِ لفراق الشيخ. .

وهكذا فقد فَقَدَتْ الأمة الإسلامية عَلَماً من أعلامها الربانيين، فالعزاءُ لها.

نعم. . لقد رَحَلَ الشيخ صالح بن غصون، بِعَمَلٍ صالحٍ - إن شاء الله-، بعد أن قدَّم عِلْمَاً نافعاً وطُلاباً أحبُّوه لإخلاصه ودعوته، وجهاده وتفانيه في خدمة الإسلام والمسلمين، عَمِلُوا معه، و نَهَلُوا مِنْ معينِ عِلْمِه. وصَدَقَ رسول الله ﷺ حيثُ قال: (إِنَّ اللَّهَ لا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنْ الْعِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا، اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَّالاً، فَسُئِلُوا، فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَ أَضَلُّوا)[1]. وهاهي أمة الإسلام تودِّع علماءها واحداً تلو الآخر، فلنشمِّر عن ساعد الجدِّ، ولْننفُضْ غبار الكسل، ولنحرص على أخذ العلم الشرعي من البقية الباقية من علمائنا الأفاضل في هذه البلاد المباركة، وإنني أذكِّر الأخوة والأخوات بأن لا ينسوا الدعاء لعلمائهم الذين رحلوا عن دنيانا الفانية، وأن يستغلوا الوقت، وينْتهزوا الفرصة لدراسة العلم الشرعي الموثوق، على يد العلماء الربانيين، وملازمتهم وتوقيرهم واحترامهم. نسأل الله أن يرزقنا الإخلاص في القول والعمل، وأن يجعل أعمالنا خالصةً لوجهه الكريم. رحم الله الشيخ صالح بن غصون رحمةً واسعة، وجعله في المهديين، وخلفه في عقبه في الغابرين، وجعله من ورثة جنة النعيم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.



(١) أخرجه البخاري (٩٨) ، و مسلم (٤٨٢٨) ، و الترمذي (٢٥٧٦) ، و ابن ماجة (٥١) ، وأحمد (٦٢٢٢ ، ٦٤٩٨ ، ٦٦٠٢) ، و الدارمي (٢٤١).

أحاديث لسماحة الشيخ صالح بن غصون

رحمه الله

الحديث الأول

النهي عن تشبُّه الرجال بالنساء

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آلـــه وأصحابه أجمعين. . وبعد. .

فإن الله فطر الخلق على فطرة سليمة، وخصَّ الرجال بنوعٍ من هذه الفطرة، وخصَّ النساء أيضاً بنوعٍ وأسلوبٍ من الفطرة. بِمَعنى أنَّ لِلرِّجال صفاتٍ تُميِّزُهم عن النِّساء، ولِلنِّساء صفاتٍ يتميَّزنَ بها عـــن الرجال. وأنَّ مَنْ حاول مِنْ الجنسين أنْ يتناول، أو يتعدَّى على صفات الجنس الآخــــر، فإنه قد اعتدى، وحاول الخروج على فطرة الله التي فطر الخلق عليها. ولهذا جاء عن النبي ﷺ في الحديث الصحيح: (لعن الله المُتشبهين مـــن الرجـــال بالنساء، ولعن الله المُتشبهات من النساء بالرجال)[1]. وهذا وعيد شديد، وتهديد أكيد في لعن مَنْ حاول مِنْ الرجال أن يَنْزِل إلى صفـــات النســـاء،

---

(١) أخرجه البخاري (٥٥٤٦ ، ٦٤٤٥) ، والترمذي (٢٧٨٤) ، وأبو داود (٤٠٩٧ ، ٤٩٣٠) ، وابن ماجة (١٩٠٤) ،وأحمد (١٩٨٣ ، ٢٠٠٧ ، ٢١٢٤ ، ..) ، والدارمي (٢٦٤٩).

وأنْ يتشبه بصفات النساء، التي هي من خصائصهن، ومِنْ لوازم أنوثتهن. ولَعَنَ أيضاً مَنْ حاولتْ مِنْ النِّساء أن تذهب إلى صفات الرِّجال التي هي من صفات الرُّجولة، وصفات الذكورة، وصفات الخشونة، وصفات القوة، وممارسة الأعمال الخاصة بالرجال. فكلٌّ مِنْ الجنسين له صفاته - كما تقدم -، ومميِّزاتُهُ، التي تُميِّزُه عن الصنف الآخر. إلا أنَّه مِنْ الظواهر المدنية الحاضرة، ومن ظواهر التَّرف، ومن ظواهر التقليد الأعمى، أن ترى كثيراً من الشباب الآن، يُحاولون التَّشبُّهَ والاتِّصافَ بصفات المرأة. وهذا ـ بدون شك ـ شعورٌ بالنقص، وشعورٌ بالليُونَةِ، والنُّعومة، مِنْ نفوسهم. وإلا فإنَّ للذكر صفاتِه، وللأنثى صفاها ومميزاها، فإذا ما حاول الذَّكر أن يكون كالأنثى، وأن يكون كالفتاة، فإنَّ هذا منه خروجٌ على فطرته، وخروجٌ على طبيعته، التي فُطِرَ عليها، وطُبِعَ عليها، وبذلك يكون قد عرَّض نفسه لِلَعْنَةِ النَّبي ﷺ، وسخطِ الله، وأليم عقَابِه، وبذلك -أيضاً- يكون قد أخرج نفسه عن مُقَوِّمَاتِ ذُكُورِيَّتِه ورُجُولَتِه. .

وقد رُوِيَ عن عمر ﷺ أنه حثَّنا جميعاً على أن نتمسك بمقومات الرجال، مِنْ الصلابة، والخشونة، وممارسة الأعمال التي تؤدي بنا إلى ذلك. . فقد قال ﷺ: " تمعددوا، واخشوشنوا، وامشوا حفاةً ومُنتعلين، وانزوا على الخيل نزوا "، وفي أثرٍ آخرَ أيضاً: " اخشوشنوا، فإنَّ النِّعم لا تدوم ".

ومِنْ هذا نعرف أن على الرجل أن يرغب عن صفات الجنس الآخر، وأن يُحاول المُحافظة على صفته هو، وعلى قوته، وعلى خشونته، وعلى

رجولته، في مشيه، وملبسه، ومظهره، وجميع أحواله وصفاته. ولا فضل للرجل في أن يكون كالفتاة، ولا فضل - أيضاً - ولا ميزة للمـــرأة في أن تكون كالرجل. فهي أُنثى، وهي امرأة، وهي سيدة، وهي ملكة بيـــت، ولها من المميزات، ولها من المكانة العظيمة في الإسلام، وعند ذوي العقول والألباب، ما يُغنيها عن محاولة أن تتَّصف بالرجل. فإن الأنثى هي الأنثى، وجمالها بأنوثتها ومُحافظتها، وسماها الطيبة من العِفَّة، والنَّزاهة، والكرامة، والشيمة. وأنَّ الرجل هو الرجل، بقوته وجَلَدِه، وصلابتـــه، ومناعتـــه، وتَحَمُّلِه، وبأسه، وقدرته على الذهاب والإياب، والكدِّ والتَّعب، وما إلى ذلك من الأمور. لكن إذا رأينا بعض الناس لا يألو جهداً في أن يظهر بمظهر الرجل الناعم تماماً، مثلاً: يَحْلِقُ لحيته، ويحلق - أيضاً - بقية أشـــعاره، وربما يلبس لباساً ناعماً تماماً، وأيضاً ربما يكون عند بعضهم إطالة شعر الـــرأس، بحيث يكون مُشابهاً للفتاة. وبعضهم ربما يلبس شيئاً من الحُلي أو السلاســـل، وهذا غاية الانحطاط، وغاية السَّفالة، أن يُفكِّر الرجل بهذا التفكير، وأن يصـل به عقله وتفكيره، أو ثقافته - إن كان له ثقافة - إلى هذا المستوى.

ومن المؤسف - أيضاً - أن الأنثى - مثلاً - تُحـــاول أن تتشـــبه بالرجل، إما في لباس، أو في مشيه، أو في شيء من أحواله، فإنها لا ميزة لها في ذلك، ولا فضيلة لها، ولا كرامة لها. بل مُحاولة كلٍّ واحـــدٍ مـــن الاثنين، الخروجَ إلى دائرة الثاني، لاشك أنه بدافع الشعور بالنقص، وبدافع الشعور بأن هناك شيئاً فقده، ويبحث عنه، فكيف يليق بالفتى - مثلاً - أن يبحث عن شيء فقده من صفات - الأنثى؟ ! لو تصـــور الفتى هـــذا

الشيء، لَخَجِلَ، ولَمَا خرج، ولا قعد عند أهله، ولا في بيته، وهو على هيئة وصِفَةِ الفتاة. . ولو تصوَّرتْ الأنثى أنها في حال بحثها، وتَحَلِّيها، أو ظهورها بمظهر التشبه بالذكر، لَخَجَلَتْ حتى مِنْ نفسها. . فالرجال رجال، والذكور ذكور، والأنثى أُنثى، والمرأة مرأة. والنبي ﷺ أعطى الكلمة الحاسمة حين قال: (لعن الله المُتشبهين من الرجال بالنساء، والمُتشبهات من النساء بالرجال)[1]، وهذا لكي لا يخرج واحدٌ من الاثنين عن طبيعته، ومقتضى مركبات بدنه، ومزاجه، وصفاته. فمن خرج على ذلك فقد خرج عن المألوف، وحاول ما ليس له، وتعدى على حدود الطرف الآخر.

ويؤسفني أن أنوه عن نقص عقول أولئك الشباب الذين لا نزال نسمع عنهم أنهم يحاولون الظهور، أو البروز، أو أن يبدو بصفات كصفات الفتيات، ويسمى هذا تحت أسماء مختلفة، إما: " خنفسة "، وإما أسماء أخرى. . فهذا مخالف لتعاليم الإسلام، وآدابه، وأخلاقه، ومخالف لطبيعة المسلم، وطبيعة الرجل. وحتى لو لم يكن الإنسان مسلما، فإن عليه أن يحتفظ بطبيعته هو كرجل، وطبيعته كذكر، ولا يرضى لنفسه أن يميع نفسه، ويتجمل أو يتحلى بلبس السلاسل، أو يطيل شعره، أو يفعل هذه الأشياء كلها، أو يلبس الناعم من الثياب، ويبدو كفتاة ستزف لزوجها - والعياذ بالله -.

---

(١) سبق تخريجه ، ص : ٣٨.

فهذا الشيء لا ينبغي ولا يجوز، وقد علمنا أنه مُخالفٌ للطبيعة والفطرة ولمركبات كلٍ من الجنسين. وأسأل الله جل وعلا لنا جميعاً التوفيق، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.



الحديث الثاني

الحث على التمسك بالدِّين، وكثرة الفتن، في آخر الزمان

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين. . وبعد. .

من المعلوم أنَّ الله جلَّ وعلا أكمل لنا الدين، وأتم علينا النعمة، ورضي لنا الإسلام ديناً.

وهذا الدين الإسلامي، هو دين كامل، وشامل لجميع أحوال البشر، في معاشهم، ومعادهم، ولا يحتاج إلى تكملة، لا في أحكامه، ولا في آدابه، ولا في تشريعاته، ولا في جميع شؤونه. فهو صالحٌ لكل زمان، ولكل مكان، ولجميع العباد، ولا يؤثر على الدِّين ما طرأ من تغيرات ومن تبدلات، في مفاهيم البعض من الناس، أو الكثيرين منهم، أو مُحاولة الدَّسِّ، أو الطَّعن في شرع الله ودينه. فإنَّ هذا لا يُغير شيئاً مِنْ كمال دين الله ﷻ، ولا مِنْ صلاحيته وشموله لمصالح العباد والبلاد، في جميع الأزمنة، والأمكنة، والأحوال، والصفات. وإذا كان الناس الآن اختلفت نظرتهم إلى هذا الدين الإسلامي، فإن هذا ليس ببِدْعٍ. فقد أخبر

النبي ﷺ في الحديث الثابت عنه، أنَّ أحوال الناس تتغير في آخر الزمان، وأنَّ هذا لا يثني المسلم، ولا يردُّ المؤمن عن التمسك بدينه، والعضِ عليه بالنواجذِ. ولِهَذا جاء في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: (يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ الصَّابِرُ فِيهِمْ عَلَى دِينِهِ كَالْقَابِضِ عَلَى الْجَمْرِ)[1]. وهذا خبرٌ من النبي ﷺ، بأنَّ هذا سوف يحصل، وأنَّه بذلك يُصبح القابضُ على دينه كالقابضِ على الجمر: دائماً يتململ. لماذا؟ لِمَا يرى من كثرة الفتن، ولِمَا يُشاهده من الشُبهات، والشكوك، والرِّيَبِ، ولكثرة المُحاربين والمناوئين لهذا الدين، والقائمين على حربه، ولِكَثْرَةِ الأعداء، وقلة الأعوان. لِذَلِكَ أصبح المتمسكُ والقابضُ على دينه، بِمَثابة القابضِ على الجمر. فصلوات الله وسلامه على مَنْ لا ينطقُ عن الهوى: ﴿ إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى ﴾[2].

وكما أنَّ هذا الحديث عن النبي ﷺ فيه الخبر بما سيقع - وفعلاً وقع -، فإنَّ فيه - أيضاً - الإرشادَ لأمته، أنه متى وقع مثل هذا الأمر، فإنهم لا يستغربونه، ولا يستنكرونه، ولا يقلِّلُ ذلك مِنْ عزيمتهم، ولا من اهتمامهم، ولا من تمسُّكهم بهذا الدين، وعضِّهم عليه بالنواجذ. فإنَّ الحديث ضمناً يقول لنا: لا يُثنيكم ذلك، عن القبض على هذا الدِّين، فَتَمَسَّكُوا بهذا الدين تماماً، واعتبروا مثل هذه الأوضاع، وإنْ كانت شاذة، إلا أنها أوضاعٌ محتملة الوقوع. فتمسَّكوا بِدِيْنِكم، وأعدِّوا لِتِلْكَ الظروف

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٢٦٠) .

(٢) سورة النجم ، آية : ٤ .

العُدَّة، وتعاونوا على البِرِّ والتقوى، وعليكم بتوحيد الكلمة، وجمع الصفوف، والتَّآخي فيما بينكم، لكي تستطيعوا مقاومة الأعداء، والمناوئين، والمُشكّكين، والدَّسَّاسين، والمُغرضين، أمَّا إذا انفرد أولئك الأشرار بالمسلم، وبالمؤمن، في حال غربته، وحالِ وحدته، وحالِ انفراده، فإنه في هذه الحال سوف تتجمع عليه المصائب، والكوارث، والمحن، وقد لا يستطيع الصُّمود، أو الوقوف، في وجوه التيارات المتوالية والمتلاحقة، إذا كان وحيداً، وينطبق عليه قول الرسول ﷺ: (يأتي على الناس زمان، الصابرُ على دينه كالقابض على الجمر).

هذا من جهة، ومِنْ جهةٍ أخرى - أيضاً -، أنَّ المتمسك بدينه، والمتمسك بعقيدته، والمتمسك بأمانته، والمتمسك بواجبات دينه، يُصبح غريباً حتى في بَلَدِهِ. . حتى بين إخوانه. . حتى بين أهل بلده ومواطنيه. . لماذا؟ لأنَّ الكثيرين منهم قد تنكَّروا لهذا، وتغيَّروا له، وأصبح التمسك بالدِّين، أوبالعقيدة، أو بالمبادئ والأخلاق، أو المُحافظة على الأمانة، أمراً مُستغرباً، وأمراً غير مألوف.

و مِنْ هذا الباب، يتحقَّق الحديث الآخر، وهو قوله ﷺ: (بَدَأَ الإِسْلامُ غَرِيبًا، وسيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ. فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ. قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَنْ الْغُرَبَاءُ؟ قَالَ: الَّذِينَ يُصْلِحُونَ إِذَا فَسَدَ النَّاسُ)[1] وفي رواية: (فَطُوبَى

(١) أخرجه أحمد (١٦٢٤٩) .

لِلْغُرَبَاءِ الَّذِينَ يُصْلِحُونَ مَا أَفْسَدَ النَّاسُ مِنْ بَعْدِي مِنْ سُنَّتِي)(١)، وفي رواية: (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ وَنَحْنُ عِنْدَهُ: طُوبَى لِلْغُرَبَاءِ. فَقِيلَ: مَنْ الْغُرَبَاءُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: أُنَاسٌ صَالِحُونَ فِي أُنَاسِ سُوءٍ كَثِيرٍ، مَنْ يَعْصِيهِمْ أَكْثَرُ مِمَّنْ يُطِيعُهُمْ)(٢)، وفي رواية أخرى: (منْ الغُرباء: قال: هم النُّزَّاعُ من القبائل)(٣). يعني: أهم قِلَّةٌ. سواءٌ أنَّهم يَصْلُحُون في حالِ الفساد، وأنَّ مرتبتهم أعلى وأجلّ من ذلك، أو أنَّهم أيضاً يُصْلِحُون الفساد، أو يُصْلِحُون ما أفسد الناس، أو أنَّهم قِلَّةٌ مِنْ النَّاس. على أيِّ حال، إذا حدثتْ هذه الأمور، فينبغي للمسلم ألا يستغرب، وأن يكون متهيِّئاً متوقعاً لحدوث مثل هذا. لأنَّ المُصطفى ﷺ أخبر به، ولأنه لا يُخبر إلا بما يَقعُ صِدْقَاً وحقّاً مُطابقاً لِخَبَرِه ﷺ، وهذا لا يَزِيْدُ المُسلم إلا تَمَسُّكاً، وإصراراً على القيام بواجب دينه، وبواجب أمانته.

مِنْ ذلك مثلاً: مَنْ كانَ أمِيْنَاً في مِثْلِ هذه الأوقات، وغَيْرَ قابلٍ لِلْمُسَاوَمَةِ على عمله، وغَيْرَ قابلٍ لِلأخذِ والرَّدِّ فيما هو مِنْ واجبِ أمانَتِهِ، أو مِنْ واجبِ أداءِ مَا كُلِّف به شرعاً وعقلاً، فهذا رُبَّما يكون منبوذاً، رُبَّمَا تُوَجَّهُ له ألوانٌ مِنْ التُّهم، وألوانٌ مِنْ التَّعَسُّفاتِ والتَّعَنُّتَات، ورُبَما يُحْرَمُ الكثير مِمَّا يستحقه مِنْ الميزات، أو من غيرها. . وهذا ما يوحي به أو يُعطيه قول النبي ﷺ - في الحديث السابق -: (القابضُ على دينه

(١) أخرجه الترمذي (٢٦٣٠) .

(٢) أخرجه أحمد (٦٦١٢ ، ٧٠٣٢) .

(٣) أخرجه الترمذي (٢٦٢٩) ، و ابن ماجة (٣٩٨٨) ، و أحمد (٣٧٧٥) ، و الدارمي (٢٧٥٥) .

كالقابض على الجمر). فإن هذا الشخص إذا استمر في القبض على دينه، فإنه لا بدَّ أن يناله ما يناله مِنْ ضررٍ ومِنْ أذى، كحال الذي يقبض على الجمر. فإنَّ حال من قَبَضَ على الجمر لا يخفى، فإنه لا يــزال يتململ، ويُقاسي متاعب، مِنْ القبض على الجمر. فإنَّ مَنْ قبض على دينه وتمسك بدينه، رغم ما يواجهه من المتاعب والصعوبات، ويُحاول أن يؤدي واجبه، ويُحاول أن يقوم بواجب أمانته، وواجب دينه، وإخلاصه لأمَّته، ولإخوانه المسلمين، يجب عليه ألا يعبأ بما قد يُوجَّه إليه، أو بما قد ينالُه مِنْ مصاعب، أو من متاعب. ولِكُلِّ شيء ضريبةٌ، كما أن لِلْخيانة، والغشِّ، والتدليسِ، والكذبِ والفجورِ، ضرائبَ في الدنيا والآخرة. فَمِنْ ضرائبِ مَنْ فَعَلَ أياً مِنْ هذه الأمور في الدنيا، أن يؤنِّبَهُ ضميرُه، وألا يشعر بسعادةٍ أبداً، وألا يتلذَّذ بعيشٍ بالمعنى الصحيح. . لماذا؟ لأنه لا يأكل إلا حراماً لا يأكلُ إلا سُحتاً. . لماذا؟ لأنه ملعونٌ على لسان محمد بن عبد الله ﷺ، حين قال: (لعنَ اللهُ الرَّاشي، والمرتشي)[1]، وفي رواية: (لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الرَّاشِيَ وَالْمُرْتَشِيَ وَالرَّائِشَ[2]. يَعْنِي الَّذِي يَمْشِي بَيْنَهُمَا، والرائش: الوسيط بينهما) وأيضاً هو لا يشعر بسعادة في بيته، لا بين أفراد أسرته، وقد لا يُمْنَحُ الصحةَ الحقيقةَ، ودوماً أحوالهم وصحتهم مُنغَّصَةٌ. ومن جانب آخر هو يخشى الموت، ويخشى القبر، ويخشى الحساب

---

(١) أخرجه الترمذي (٦٣٣٧) ، و أبو داود (٣٥٨٠) ، و ابن ماجة (٢٣١٣) ، و أحمد (٦٤٩٦، ٦٧٣٩ ، ٦٧٤٠ ، ٦٧٩١ ، ٦٩٤٥ ، ٢٧٤٧٧ ، ٨٧٩٨) .

(٢) أخرجه أحمد (٢١٨٩٣).

والعقاب. . لماذا؟ لأنه يعرف ما قدَّمه، وما سُجِّل عليه، ويعرف أنَّ هناك كِرَاماً كاتبين، وأنهم يُدَوِّنُون كلَّ الصغائر والكبائر: ﴿ **مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ** ﴾[1]، ﴿ **وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِيْنَ * كِرَاماً كَاتِبِيْنَ * يَعْلَمُوْنَ مَا تَفْعَلُوْنَ** ﴾[2]، ﴿ **وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلاَ تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ** ﴾[3].

هذا وصلى الله وسلم وبارك على من أُعطي جوامع الكلم، واختُصر له الكلام اختصاراً، وعلى آله وأصحابه أجمعين.



(١) سورة ق ، آية : ١٨ .

(٢) سورة الانفطار ، الآيات : ١٠ – ١٢ .

(٣) سورة الأنبياء ، آية : ٤٧ .

الحديث الثالث

حقوق الجار

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله، وأصحابه، ومن اهتدى بهداه. . وبعد. .

فإنَّ الله جلَّ شأنه قال في محكم كتابه العزيز: ﴿ واعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وبِذِي الْقُرْبَى والْيَتَامَى والْمَسَاكِينِ والْجَارِ ذِي الْقُرْبَى والْجَارِ الْجُنُبِ والصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وابْنِ السَّبِيلِ ومَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالاً فَخُوراً ﴾ (١). ففي هذه الآية العظيمة، أمرَ الله جل وعلا الخلقَ بعبادته، ونهاهم أن يُشركوا به شيئاً، وأمرهم - أيضاً - بالإحسان إلى إخوانهم، وأمرهم - أيضاً - بالمحافظة على حقِّ الجار، وفي هذا من الأهمية والاهتمام من الشريعة، الشيء الكثير. لأنَّ الله قَرَنَ حقَّ الجار في هذه الآية، بِحَقِّه جلَّ وعلا، وبالنَّهي عن الشرك به. لأنَّ حقَّه أعظمُ الحقوق، وآكدُها، ولأنَّ الشرك أكبر الكبائر، وأعظم الجرائم. فَحَقُّ الجار على جاره مُؤَكَّدٌ. ولِهَذا ثبتَ في الحديث عن النبي

---

(١) سورة النساء، آية: ٣٦.

ﷺ أنه قال: (مَنْ كانَ يؤمنُ بالله واليوم الآخر فَلْيُكْرِمْ جـــاره)[١]، وفي لفظ آخر: (مَنْ كان يؤمنُ بالله واليوم الآخر، فلا يؤذِ جـــاره)[٢]. وفي لفظ آخر: (فليُحسن إلى جاره) [٣] في حديث آخر: (والله لا يؤمـــن. والله لا يؤمن. والله لا يؤمن. قالوا: خابَ وخسرَ، يا رسول الله. مَـــنْ هو؟ قال: مَنْ لا يَأمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ)[٤]. فهذه كلُّها مِنْ حقوق الجـــار، والأمر بالوفاء للجار. وقد وَرَدَ في الحديث، عن النـــبي ﷺ: (مَـــا زَالَ جِبريل يُوصيني بالجار حتى ظننتُ أنه سيُورِّثه)[٥]. فَحَقُّ الجَار على جـــاره كبير. وما ذاك إلا لأنَّ الجار المُلاصق، أو الجار القريب، لا يستغني عـــن جاره، مهما كانت حالُ الجيران، أو المتجاورين. كلٌّ منهم قد يحتاجُ إلى جاره، في ليلٍ أو نهار، في حال حضور الجار، أو في حال غيابه. فـــإنَّ الجار يحتاج إلى جاره. . يحتاج إلى مساعدته أو إلى معاونته، أو أنْ يَكُـــفَّ عنه الأذى، فهذا أيضاً مِنْ حقِّ الجار في الإسلام، وحتى في شيم العـــرب.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٦٧٣) ، و مسلم (٤٧) ، و أحمد (٩٣١٢ ، ١٥٩٣٩ ، ١٩٧٧٤) ، و مـــالك (١٧٢٨) ، و الدارمي (٢٠٣٥) .

(٢) أخرجه البخاري (٥٦٧٢ ، ٥٧٨٥ ، ٦١١٠) ، و مسلم (٤٧) ، و أبو داود (٥١٥٤) ، و أحمـــد (٩٣١٢ ، ٩٦٥١ ، ٢٣٨٨٣ ، ٢٦٦٢٠) .

(٣) أخرجه مســـلم (٤٨) ، و ابـــن ماجـــة (٣٦٧٢) ، و أحمـــد (١٥٩٣٥ ، ٢٢٩٨٥ ، ٢٦٦١٨) ، والدارمي (٢٠٣٦) .

(٤) أخرجه البخاري (٥٦٧٠) ، و أحمد (١٥٩٣٥ ، ٧٨١٨ ، ٨٢٢٧ ، ٢٦٦٢٠ ، ٢٦٦٢١) .

(٥) أخرجه البخـــاري (٥٦٦٩) ، و مســـلم (٢٦٢٤ ، ٢٦٢٥) ، و الـــترمذي (١٩٤٢ ، ١٩٤٣) ، وأبوداود (٥١٥١ ، ٥١٥٢) ، و ابن ماجة (٣٦٧٣ ، ٣٦٧٤) ، و أحمـــد (٥٥٥٢ ، ٦٤٦٠ ، ٧٤٧٠ ، ٨٩٨٥ ، ٩٤٥٣ ، ١٠٢٩٧ ، ..) .

فإنَّ مِنْ حقِّ الجار على جاره ألاَّ يعتدي عليه، ولا يطَّلِع على بيته، أو على أولاده، ولا يُضايقه بشيء من البناء، أو الفتحات، أو النوافذ. وأيضاً لا يضع أمام بابه شيئاً من الفضلات أو القمائم، التي تؤذي، وأيضاً لا يتوقف عن زيارة جاره، أو يستزيرُه، حتى يكون بينهما أُلفة ومحبة.

والجار إذا كان قريباً، ومُسلماً، فله ثلاثة حقوق:

حق الجوار، وحق الإسلام، وحق القرابة.

وإن كان جاراً مسلماً، ولم يكن قريباً، فله حقان:

حق الإسلام، وحق الجوار.

و إن كان جاراً، ولكنه ليس بِمُسلمٍ، ولا قريبٍ، فله - أيضاً - حقُّ الجوار. وقد أتى رجلٌ إلى النبي ﷺ، واشتكى إليه جاره، فأمره النبي ﷺ أن يُخرِجَ متاعه - يعني: عفشه - إلى الشارع، فمن مرَّ عليه من الناس، وقال له: لِمَ أخرجتَ متاعك؟ . قال: آذاني جاري، وأتعبني وتسبب لي في المتاعب، وكذا وكذا. . فأخذ الناس يلومونه ويشتمونه، حتى ذهب ذلك الجار إلى النبي ﷺ، وطلب منه أن يشفع له عند جاره، أو أن يأمر جاره أن يعيد متاعه إلى بيته، ولا يؤذيه بعد ذلك[1].

هذا كله يدل على تأكيد حق الجار، وأن للجار من الحقوق الشيء الكثير. بمعنى أنه حتى إذا غاب الجار، فإنه ينبغي لجاره أن يكون ملاحظاً لعائلته: ربما ينقُصهم شيء، ربما يحتاجون إلى شيء، ربما يزعجهم شيء،

(١) أخرجه أبو داود (٥١٥٣) .

ربما يحدث لهم حاجة. . هذه من فوائد الجوار، ومن فوائد الجار الصـــالح. ولهذا يقول العرب: اختر الجار قبل الدار، واختر الرفيق قبل الطريق. فحق الجوار عظيم. وللجار على جاره حق مؤكد أمر الله ﷻ بـــه في كتابــه، وأكدَّه النبي ﷺ، كما تقدم لنا في هذه الأحاديث الكثيرة وغيرها. والواقعُ - أيضاً - يدل على ذلك. فَلَرُبَّما أنَّ هناك مِنْ الجيران مَنْ يذهب. . يُسافر إلى حاجته. . ويعتمد على جاره - بعد الله ﷻ -، ويعرف أن جاره لـــن يغفل عن أولاده، لن يغفل عن عائلته، وأهم مهما طلبوا منه، أو بحثوا عنه في ليل أو نهار، فإنه سَيُلَبِّي حاجتهم. ومعنى هذا أن هذا الجار لم يغب عن ولده ولا عن عائلته. وهكذا جاره الثاني لو غاب، فجـــاره الأول يحـــلُّ محلَّه، ويقوم مقامه. هذه من فوائد الجوار.

و **من فوائد الجوار**: تبادل الثقة، تبادل الأخوة، تبادل المنافع، والتعاون. كل جار يثق بجاره. كل جار يطمئن إلى جاره. كل جار يعتمـــد علـــى جاره. . هذه آداب الإسلام، بل هذه آداب العرب من قبـــل الإســـلام. فالجار له حقٌّ عند العرب عظيم، وكان العرب يـــهتمون بشـــأن الجـــار، ويهتمون بجارهم، وأيضاً بجاراتهم من النساء، ويرون أن لهن حقاً، وأنَّـهُنَّ يحللن محلّـــةً لا يشركهن فيها أحد من الأباعد. فما هو الذي حلَّ بالنـــاس الآن من الاستخفاف بحق الجار، وعدم مراعاته، وعدم السؤال عنه، وعـــدم تفَقُّدِ أحواله. . حتى إذا حصل عليهم شيء، فقد يكون هو آخر مَنْ يَعْلَـــمُ - وهو جارهم - أو يكون آخر من يمدَّ لهم يد المساعدة، أو آخـــر من يـــأتي أو يقول: هل من حاجة؟ هل حصل كذا أو حصل كذا؟ ولماذا لم تخبروني؟..

هذه فوائد الجوار. . هذه أخلاق الإسلام وآدابه، أن يكون الجار شريكاً لجاره في حال السراء، وحال الضَّراء، سواءٌ أكان الجار حاضراً أم غائباً. ولهذا نُهينا عن أذية الجار والإساءة إليه، حتى في إطالة الجدار نحوه، أو فتح نافذة عليه، أو جعل شيء يؤذيه، أو إحداث شيء يزعجه، مثل صوت ماكينة، أو صوت شيء يؤذي، أو جعل نافذة المطبخ تفتح عليه، فيؤذيه الدخان والروائح، وهكذا. .

للجار حق عظيم جداً على جاره، بمعنى أن الإسلام في الحقيقة لا يسمح بأذيَّة الجار. ولهذا قال النبي ﷺ - كما تقدم -: (مَنْ كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فلا يؤذِ جاره)[1]، وفي الحديث الآخر عن النبي ﷺ: (ما زال جبريل يوصيني بالجار، حتى ظننتُ أنه سيورثه)[2]. فَلِمَاذا لا يكون الإنسان متمثلاً، ومُقتدياً، ومتأسياً، بالنبي ﷺ، وحريصاً على أن يكون مسلماً، بأخلاقه، وبآدابه، وأيضاً بسلوكه، ومنهجه؟ !

أسأل الله جلَّ وعلا أنْ ينصر دينه، وأنْ يُعْلِي كلمته، وأنْ يهدينا سواء السبيل.

و صلى الله وسلَّم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

(١) سبق تخريجه ص (٥٠) .

(٢) سبق تخريجه ص (٥٠) .

الحديث الرابع

أحكام الصيام وآدابه

الحمد لله رب العالمين، والصلاة على نبينا محمد، وعلى آله، وأصحابه أجمعين. . وبعد. .

فإن الله ﷻ قال: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[١]. فهذا نداءٌ من الله ﷻ، لِعِبَاده المؤمنين، وأمْرٌ لهم بالصوم، وإخبارٌ لهم بأنَّ لِهَذا الصومِ، حِكْمَةً، وأنَّ مِنْ حِكْمَتِهِ أنْ يَحُثَّهُم، ويَحْمِلَهُم على التقوى. ولِهَذا قال الله ﷻ: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾. فَمَنْ لَمْ يَتَّقِ الله في صيامه، ولَمْ يُحافظ عليه ويرعاه، ولَمْ يُفَرِّقْ بين يومِ صيامه، ويَوْمِ فطره، فهو في الحقيقة لم يَصُمْ. ولِهَذا جاء في الحديث عن النبي ﷺ: (مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ، والعَمَلَ بِهِ، والجَهْلَ، فليس لله حاجةٌ في أنْ يَدَعَ طعامَهُ وشَرَابه)[٢].

(١) سورة البقرة ، آية : ١٨٣ .

(٢) أخرجه البخاري (١٨٠٤ ، ٥٧١٠) ، و الترمذي (٧٠٧) ، و أبو داود (٢٣٦٢) ، و ابن ماجة (١٦٨٩) ، و أحمد (٩٥٢٩ ، ١٠١٨٤) .

وفي الحديث الآخر: (رُبَّ صَائِمٍ حَظُّهُ مِنْ صِيَامِهِ الْجُوعُ وَالْعَطَشُ، ورُبَّ قَائِمٍ حَظُّهُ مِنْ قِيَامِهِ السَّهَرُ)[(١)].

فهذه الأحاديث، وهذه الآية الكريمة، تدلُّ على أنَّ المُراد مِنْ الصَّوْمِ، وأنَّ الحكمةَ مِنْهُ، أنَّه يورث، ويُثْمِرُ التقوى. فإنَّ على الصائم أنْ يتَّقــي الله في سرِّه وعلانيته، وأنْ يُحافظ على أوامر الله ﷻ، وأنْ يدفعـــه الصيـــامُ إلى احترام شرائع الإسلام، والمحافظة عليها. فما صام منْ أضـــاعَ الصــلاة، وتَهَاوَنَ بها، ولَمْ يُحافظ عليها في أوقاتها، أو أضاعها بالكُلِّيَة. فماذا يُفيده الصيامُ، إذا أضاع الصلاة؟ والصلاةُ هي الرُّكن الأعظم للإسلام، كمـــا جاء في الحديث الصحيح: (رأسُ هذا الأمر الإسلام، وعمُوده الصـــلاة، وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله)[(٢)]. وبعض الصائمين، يصومون عـــن الطعام والشراب، لكن تجدهم يؤخِّرون الصلاة عن أوقاتها: إمَّا أنْ ينـــامُوا قبل السحور، أو قُبيل السحور، ويؤخروا صلاة الصبح، أو ينـــاموا عـــن صلاة الظهر أو عن صلاة العصر، وهكذا. فكيف يصومون ويُقاسون آلام الجوع والظمأ، ثم يُؤخِّرون الصلاة، أو يُضيِّعون الصلاة بالكُلِّيَةِ – والعيـــاذ بالله-. وأيضاً ما صام من ذهب بعد فِطْره، وأمعنَ في المعاصي، بأنْ جلس في مجالس السَّهو، واللَّهو، والقيل والقال، والغيبة والنميمة، وأكل لُحُوم الناس، أو تناول المحرمات، كالمسكرات ونحوها، أو غيرها مِنْ المحرمـــات

---

(١) أخرجه ابن ماجة (١٦٩٠) ، و أحمد (٨٦٣٩ ، ٩٣٩٢) ، و الدارمي (٢٧٢٠) .

(٢) أخرجه الترمذي (٢٦١٦) ، و أحمد (٢١٥١١ ، ٢١٥٦٣ ، ٢١٦١٧) .

التي حرَّمها الله على عباده. . فأين الصيام؟ ! وأين القيام؟ ! وأين احترام شهر رمضان؟ !

إن الله ﷻ يقول: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** ﴾[1]: أي: تَتَّقُون الله في امتثال أوامره، واجتناب نواهيه. . في امتثال هذا الشَّرع المطهر، بأن يَكُفَّ الإنسانُ الأذى مِنْ لِسانه، وجوارحه، وألاَّ يأكلَ إلا حلالاً، لا يأكلُ حراماً. أمَّا مَنْ صام عن الطيِّبات، أو عنْ الحلالِ، وأفطر وتسَحَّر مثلاً على المُحَرَّمات، فأين هذا الصيام؟ !

وأمَّا مَنْ صام عن الطعام والشراب، ثُمَّ ما زال يأكلُ لُحُوم الناس.. ما زال يغتابُهم.. ما زال يؤذي المؤمنين والمؤمنات. . ما زال يستطيل في أعراض الآخرين. . ما زال يتكاسل عن الصلوات. . ما زال يؤذي جيرانه. . ما زال يعُقُّ والديه. . ما زال يقطع أرحامه. . فأين آثارُ الصيام؟ ! وأين آثار التقوى؟! وأين ما استفاده هذا الصائم مِنْ صيامه؟ ! هذه العبادات ليست صُوراً ولا أشكالاً، وإنما هي حقيقةٌ، الغرضُ منها أن يُقْبِلَ العبدُ على خالِقه. . الغرضُ منها أن يرتبطَ القلبُ بِرَبِّه جل وعلا. . الغرضُ منها أن يفهم المسلم أنه صائمٌ امتثالاً لأمْرِ الله ﷻ. لأنَّ الله ﷻ قال: ﴿ **كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** ﴾[2]. فهل

---

(١) سورة البقرة، الآية (١٨٣) .

(٢) سورة البقرة، الآية: (١٨٣).

ما يتعاطاه هذا الصائمُ في رمضان، أو في نهـار رمضـان، أو في ليـالي رمضان، أو في حال فطره، أو في حال صيامه، هل هذا هو التقوى؟! هل هذه ثمار الصيام؟ ! وهل هذه نتيجتُه، وحكمتُـه، وفائدتُـه؟ ! أم إننا لا نستفيد إلا أن نُمسك عن الطعـام والشـراب فقـط، دون أن نُمسـك جوارحنا، دون أن نتقيَّد بشرع الله. فلا بصراً نغضُّهُ، ولا سمعاً نَكُفُّـه، ولا لساناً نَحْفَظُه، ولا فَرْجَاً - والعياذ بالله - نُحافظ عليـه، ولا أمانـةً نرعاها، ولا طعاماً طيِّباً نسعى لِكَسْبِه، ولا حراماً نكُفُّ عنه.

هذا الذي يَجبُ على المؤمن أيّـاً كان، وحيثُما كـان، أنْ يستشـعره. ولاسِيَّمَا إذا كان صائماً، فعليه أن يتقي الله، وعليه أن يُراعي أيَّام صيامه، وأيَّام قيامه، وأيَّام شهر رمضان. يجب عليه أنْ يُراعي هذا الشهر المبـارك، الذي قال الله تعالى عنه: ﴿ **شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُـدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَات مِنْ الْهُدَى والْفُرْقَانِ** ﴾ (١). ولْيَتَذَكَّرْ أنَّ شَهْرَ الصيام، هـو شهرُ القرآن، الذي أنزل فيه القرآن، وأنَّ القرآن هو الذي يتضمنُ الحـلال والحرام، والأوامر والنواهي، وأنَّ هذا المسلم عليه أنْ يُراعي صيامه، وعليـه أنْ يُرَاعي كتاب الله ﷻ، وعليه أنْ يُرَاعي التكاليف الشرعية، وعليـه ألاَّ يكتفي - مِنْ الإمْتِثَالِ - بالكَفِّ عنْ الطعام والشراب فقط، بأنْ يَكُفَّ عنْ الحلال، لكنه لم يَكُفَّ عنْ الحرام، وإذا أفطر، إنما يُفْطِرُ على حرام: إمَّا على رشوة، أو على ما اكتسبه مِنْ غِشٍّ، أو تَدْلِيس، أو كذب، أو أيْمَانٍ فاجرةٍ، أو غلولٍ، أو تحايل، أو ما أشبه ذلك. فهل نَحنُ نتعاملُ مع مخلوقٍ

(١) سورة البقرة ، آية : (١٨٥).

تنطلي عليه الحِيَلُ، أو المعاذير؟ ! أم أنّنا نتعاملُ مع مَنْ يعلمُ السِّرَّ، وأخْفى مِنْ السِّرِّ؟ وهُو المُطَّلِعُ على القلوب، والمُهَيْمِنُ عليها ﷻ؟ !

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[1]: لَعَلَّكُم تَتَّقُون اللهَ في صيامكم، في قيامكم، في شهركم المبارك، في كتاب الله العزيز الذي أُنْزِلَ في هذا الشهر المبارك، الذي تضمَّن كل ما يعودُ على البشرية بالخير، والعِزَّة، والأجر العظيم.

فهذه نصيحتي لإخواني الصائمين، أن يتذكَّروا أنَّ الصِّيام معناه أنْ يكُفَّ الإنسانُ عن جميع ما حرَّمه الله ﷻ عليه، وأن يستفيد مِنْ صيامه: التقوى، وأنْ يحتسب ثوابَ صيامه عند الله ﷻ. ولهذا جاء في الحديث عن النبي ﷺ: (مَنْ صامَ رمضان إيماناً واحتساباً، غُفِرَ له ما تقدَّم مِنْ ذنبه)[2].

ومعنى إيماناً واحتساباً، أي: إيماناً بالله، إيماناً بتشريعه، واحْتِسَاباً للأجْرِ والثوابِ، لا سُمْعَةً ولا رِيَاءً، ولا تقليداً، ولا صياماً صورياً ولا شكلياً. وإنَّما الغرضُ منه هو احتسابُ الثوابِ والأجْرِ عند الله ﷻ. فهذا الصائم هو الذي يفوز بالجنة والمغفرة: (مَنْ صام رمضانَ إيماناً واحتساباً، غُفر لَهُ ما تقدَّم مِنْ ذنبه).

أسأل الله جل وعلا أنْ يجعلَ لنا مِنْ صِيامنا حظّاً وأجراً عظيماً، وثواباً جزيلاً، وعِتْقاً مِنْ النَّار، وفوزاً بالجنَّة. إنَّهُ وليُّ ذلك، والقادرُ عليه.

****

(١) سورة البقرة، الآية: (١٨٣).

(٢) أخرجه البخاري (٣٨) ، و مسلم (٧٦٠) ، و الترمذي (٦٨٣) ، و النسائي (٢١٩٨ ، ٢٢٠٣، ٢٢٠٤ ، ٢٢٠٥) ، و أبو داود (١٣٧٢) ، و أحمد (٧١٣٠ ، ٧٢٣٨ ، ٨٧٧٥ ، ..) .

الحديث الخامس

الحث على تيسير أمور الزواج

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين. . وبعد. .

فإنَّ الله ﷻ قال: ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلاَ تُسْرِفُوا إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾[1]. فهذه الآية الكريمة كغيرها مِنْ الآيات، فيها إباحةُ الأكلِ والشُّرْب، لكن ذلك في حُدود، بِحَيْث لا يكونُ هناك إسرافٌ. فإنَّ العبدَ له أنْ يأكُلَ، وله أنْ يشربَ، وله أن يتمتع، لَكِنْ بِشَرْط ألاَّ يتجاوز الحدَّ، وأنْ لا يَصِلَ إلى حَدِّ الإسراف. ولِهَذَا قال اللهُ ﷻ حينما أثنى على عباده المؤمنين: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴾[2]. وقال تعالى: ﴿ وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلاَ تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ۞ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴾[3]، يعني: حتى في باب الصَّدَقةِ، وحتَّى في بابِ الصِّلَةِ،

---

(١) سورة الأعراف ، آية : ٣١ .

(٢) سورة الفرقان ، آية : ٦٧ .

(٣) سورة الإسراء ، آية : ٢٦ - ٢٧ .

وحتَّى في باب الإحْسَان، ينبغي للإنسان أنْ يكُونَ وسَطاً. ولِهَذا جـاء في الحديث: (كُلُوا، وتَصَدَّقُوا، وَالْبَسُوا، فِي غَيْرِ إِسْرَاف وَلا مَخِيلَةٍ)(١). فهذه شريعة الإسلام، وهذا هو هديه، وهذا ما أرشدنا إليه النبي ﷺ، في أقواله، وأفعاله، وتوجيهاته، صلوات الله وسلامه عليه. فأين هذا مِمَّا عليه أكثرُ النَّاس الآن، مِنْ حُبِّ الفَخْرِ، والخُيَلاءِ، والمَظَاهِرِ البَرَّاقَةِ، وإنْفَاقِ الأمْوَالِ الطَّائلةِ في سبيلٍ أضَرَّتْ بالمسلمين، أفراداً وجماعات، ولا سِيَّما في أمور الزواج والنكاح، التي هي مِنْ الأمور الضرورية للإنسان، التي لا يستغني عنها أحدٌ مِنْ الجنسين، مِنْ الرِّجَالِ والنِّساء. ولهذا جـاء في الإسلام تسهيلُ هذا الأمر، وتيسيرُه. حتى إنَّ النبي ﷺ زوَّج امرأةً رَجُلاً، بِمَا معه مِنْ القرآن، وقال له: (الْتَمِسْ ولو خاتماً مِنْ حَدِيدٍ)(٢). وزوَّجَ امرأةَ بِنَعْلَيْنِ. صلواتُ الله وسلامُه عليه. وقال ﷺ: (لَوْ أَنَّ رَجُلاً أَعْطَى امْرَأَةً صَدَاقًا مِلْءَ يَدَيْهِ طَعَامًا كَانَتْ لَهُ حَلالاً)(٣). صلـواتُ الله وسلامُه عليه. وما أُصْدِقَتِ امرأةٌ مِنْ بَنَاتِ النَّبي ﷺ، ولا مِنْ نسائه، أكثرَ مِنْ اثنتي عشرة أُوقِيَّةَ. يعني: خمسمائة درهم. وخمسمائة درهم، لا تُجَاوِزُ

---

(١) أخرجه النسائي (٢٥٥٩) ، و ابن ماجة (٣٦٠٥) ، و أحمد (٦٦٥٦ ، ٦٦٦٩) .

(٢) أخرجه البخاري (٤٧٤٢ ، ٢١٨٧ ، ٤٧٤١ ، ..) ، و مسلم (١٤٢٥) ، و الترمذي (١١١٤) ، و النسائي (٣٢٨٠ ، ٣٣٥٩) ، و أبو داود (٢١١١) ، و ابن ماجة (١٨٨٩) ، و أحمد (٢٢٢٩٢ ، ٢٢٣٤٣) ، و مالك (١١١٨) ، و الدارمي (٢٢٠١).

(٣) أخرجه أبو داود (٢١١٠) ، و أحمد (١٤٤١٠) .

مائةً وخمسين ريالاً عربياً تقريباً. فأين هذا مِمَّا نحنُ فيه الآن؟ ! وأين هـذا مِنْ وضعنا الحاضر الآن، ومِنْ وضع الأمَّة الإسلامية، وتَفَشِّي العُزوبة فيها، وبقاء الكثير مِنْ البنات دونما أزواج، والكثيرين مِنْ الشباب دونما زوجـات، وتَعَمُّدِ بعض الناس وضع العراقيل في هذا السبيل المحبوب إلى الله ﷻ، وإلى رسوله، وإلى عباده المؤمنين، والذي هو مِنْ ضرورات الجنـس البشري؟!.

وإذا كان الأمرُ كذلك، فمَا هو الدَّاعي لنا أنْ نضع هذه العراقيـل، وأنْ نغرم هذا الإغرام؟ ! ولماذا هذه النهمة المسعورة في التغالي بالمهور، والميـل إلى المظاهر، وإلى الحفلات، وإلى الإضاءات، وإلى جعل إقامة الحفلات في الفنادق، وإنفاق الأموال الطائلة التي تستهلك عشرات الألوف بل أكثر؟ !.

فَمِنْ أين لِلشَّباب أنْ يجمعوا هذه الأموالَ؟ مِنْ أين لِلْبَنَاتِ بِأزواجٍ صالحين، ما دامت هذه العراقيل في سبيل الزواج؟ ! أو في سبيل مشروع الزواج؟!.

ونصيحتي لإخواني، صادقاً، مُخلِصاً، أن يعيدوا النَّظر، وأن يُفَكِّـرُوا في حساباتهم، وأن يُوقِنُوا تماماً أنَّهم مُؤتَمَنُون على أولادهم، ذكوراً وإناثـاً. الكُلُّ مؤتمن، ومسؤولٌ عن أمانته، وأنَّهم رَعِيَّةٌ في أيدينا. لِمَاذا لا نُعْطِـي هذا الموضوع ما يَسْتَحِقُّه مِنْ تفكيرٍ، ونَظَرٍ بَعِيْدٍ، وتَـأمُّلٍ في العَوَاقِـبِ والنتائج، التي تترتبُ على وضع العراقيل أمام تسهيل أمور النكاح، وأمـور الزواج. هذه العواقب والأمورِ، التي يُخْشَى منها أن تتمثل في بقاء الكثـير من البنات دونما أزواج، وبقاء الكثير مِنْ البنين دونما زوجات، على الرغـم مِنْ أنَّ كِلاً مِنْ الجنسين يبحثُ عن الآخر، ولا يرى له سعادةً، إلا بـأنْ يقترن بما يُلائمه مِنْ جنسه. فإذا بقيتْ الأوضاعُ، أو الأحوال، على هـذا النمط، وأصبح الشبابُ لا يُفكِّرُ في الزواج، حتى يُؤَمِّنَ ما لا يَقِلُّ عن مائة

ألف، أو مائة وخمسين ألفاً، للحفلات، وللمظهر، وللأثاث، ولِمَا يلزم لذلك. فَمِنْ أين للشباب أنْ يحصل على هذا المال؟ ! ولاسيما الكثرة الكاثرة من هؤلاء الشباب، الذين يتخرجون مِنْ الجامعة، ورواتبهم محدودة، وعليهم من الالتزامات الشيء الكثير. ثُمَّ متى يجمع هذا المبلغ، ويحصل عليه؟ ! وهل مِنْ المصلحة لنا - كَأُمَّةٍ مسلمةٍ، وكَشَعْبٍ مُحافظ، وكأُمَّةٍ لها قيمتها، وكيانها الإسلامي - وهل مِنْ اللائق بنا، أنْ يبقى أولادُنا عُزَّاباً، وينظرون إلى النِّساء في الشوارع، وفي السيارات، وفي كل مكان، ويطاردونهن كأنما يريدون التهامَهُنَّ؟ وهل مِنْ المصلحة لَنا - أيضاً - أن تبقى النساء والفتيات، على هذا النحو، يبحثن عن الشباب ويُطارِدْنَهُمْ - أيضاً - في نظراتِهِنَّ، وما إلى ذلك من الأمور؟ لماذا لا نستفيدُ مِمَّا حلَّ بالأُمم التي ليست عنَّا ببعيدة؟ وما حلَّ بهم مِنْ الانحلال، وما حلَّ بهم مِنْ التَّفَسُّخِ، وما حَلَّ بهم مِنْ الرَّذيلة، بدلاً من الفضيلة.

وكيف وصلتْ أمورهم إلى وصلت إليه؟ . وأنْ نأخُذَ بأيدي بعضنا البعض، ولا نترك الأوضاع تتردَّى إلى ما هو أسوأ، وإلى ما هو أكثرُ ضرراً، وبعداً. فقدْ تلحقُ بنا الأضرار الفادحة، ولو على المدى البعيد. فعلينا أنْ نَتَّقِيَ الله جميعاً، وأن نُدْرِكَ أنَّ هذه المضار، وهذه النَّفقات، لا تعود علينا بجدوى: لا في أمْرِ دينٍ، ولا في اقتصادٍ، ولا في شرفٍ، ولا في حسبٍ، ولا في نَسَبٍ. وليست هي الدَّليل على مكارم الأخلاق، ولا على المروءة.

ولو كان خيراً، لَسَبَقَنَا إليه الرسول ﷺ، وأصحابُه الكرام، والنبي ﷺ لما جاءه رجلٌ مِنْ الأنصار، قال له إنه تزوج امرأة. قال: (على كم؟) قال: على أربع أواقٍ. قال: (على أربعِ أوَاقٍ؟ كأنَّما تَنْحِتُونَ الفِضَّة مِنْ

عَرْضِ هذا الجبل)[1]. علماً بأنَّ أربع أواقٍ، لا تزيد عن مائة وستين درهماً، وهي لا تُساوي إلا قليلاً مِنْ ريالاتنا هذه، لا تُساوي إلا حوالي أربعين ريالاً أو نحوها. ومع ذلك قال له: (كأنَّما تنحتون الفضة مِنْ عَرْضِ هذا الجبل). فأين نحنُ من هَدْي النبي ﷺ، وما كان ينظرُ إليه بنظرةٍ مستقبلية، بعيدة المدى؟ ! وأين نحن مِنْ حكمته، وإخلاصه، ونصحه لأمته، صلوات الله وسلامه عليه؟ !.

أسأل الله جل وعلا، أنْ يأخذ بنواصينا جميعاً إلى ما يُرضيه، وأنْ يَدُلَّنَا على سبيل الخير والرَّشاد. وصلى الله على محمد، وعلى آله، وصحبه، وسلَّم.



---

(١) أخرجه مسلم (١٤٢٤) .

الحديث السادس

أحكام الحج والعمرة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين. . و بعد. .

فإن النبي ﷺ وقّت مواقيت مكانية، لِمَنْ أراد حجاً، أو عمرةً، أو أرادهما معاً. وعلى مَنْ مَرَّ بمِيْقَات مِنْ هذه المواقيت أن يُحْرِمَ بالنُّسكِ الذي أراده: عُمْرَةً مُفْرَدَةً، أو عُمْرَةً مُتَمَتِّعاً بها إلى الحَجِّ، أو عُمْرَةً وحَجّاً - وهو القِرَانُ لِمَنْ سَاقَ الهَدْيَ -، أو حَجّاً مُفْرَداً، وهو في هذه الأوقاتِ أفضـلُ مِـنْ غيره، لأنَّ مَنْ أفْرَدَ الحَجَّ لا يلزمه نُسُكٌ، للأسباب التي تقدمـت. أمَّـا الإحرامُ، فإنَّه رُكْنٌ مِنْ أركان الحج، وهو: نيَّةُ الدُّخـول في النُّسـك. والنبي ﷺ قال: (إنَّما الأعمالُ بالنِّيَّات)[1]. فَلا يَصِحُّ عَمَلٌ بلا نيَّةٌ. فإذا أرادَ الإنسانُ التَّلَبُّسَ بالنُّسُكِ: عُمْرَة - كما تقدم -، أو عمرة وحجّاً، أو حجاً مُفْرَداً، فإنَّ عليه أن ينوي الدُّخول في النُّسك، ثُمَّ يتلبس، أو يـأتي بِعَمَلٍ يُؤكِّدُ هذه النية. ولا مانع مِنْ أن يتلفظ بما أراده مِنْ نُسُكٍ. كـأنْ

---

(١) أخرجه البخاري (١) ، و أبو داود (٢٢٠١) ، و ابن ماجة (٤٢٢٧) .

يقول: اللهم إني أردتُ الحج، فَيَسِّرْهُ لي، أو اللهم إني أُريد العمرة فيَسِّرْهَا لي، أو أريد العمرة، متمتعاً بها إلى الحج، أو أريد الحج والعمرة معاً، كالقارن. . وأيضاً يُستحب له أن يشترط، كمَا أرشد النبي ﷺ ضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب، حينما دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَيها، فَقَالَ لَهَا: (لَعَلَّكِ أَرَدْتِ الْحَجَّ؟) قَالَتْ: وَاللَّهِ لا أَجدُني إلاَّ وَجعَةً.

فَقَالَ لَهَا: (حُجِّي، وَاشْتَرِطِي، وَقُولِي: اللَّهُمَّ مَحِلِّي حَيْثُ حَبَسْتَنِي)[1].

فإذا قال الحاج أو المعتمر: " اللهم إني أُريد العمرة، أو اللهم إني أريد الحج، فَيَسِّرْهُ لي، فإنْ حبسني حابس، فَمَحِلِّي حيثُ حبستني "، فإنه يستفيد إن حُبس – إمَّا بحادث سيارة، أو مرض، أو غيرهما من الحوادث والعوارض التي تعْرض للإنسان –، بناءً على هذا الاشتراط، أنْ يَحِلَّ مِنْ نُسكه، ولا شيء عليه، لأنه اشترط. والنبي ﷺ قال لضباعة – كما في الرواية الأخرى –: (قُولِي لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ، وَمَحِلِّي مِنْ الأَرْضِ حَيْثُ تَحْبِسُنِي. فَإِنَّ لَكِ عَلَى رَبِّكِ مَا اسْتَثْنَيْتِ)[2].

وعَلِمْنَا أنَّ الإحرام ركنٌ مِنْ أركان الحج، لأنَّه النِّيَّةُ. وعلمنا – أيضاً – أنَّ مَنْ مرَّ بأحَدِ المواقيت، قاصداً مكة، أو الحرم، فعليه أن يُحْرِمَ، ولا يتجاوزَ الميقاتَ بِدُونِ إحرامٍ. أمَّا إنْ كان قاصداً جدَّة – مثلاً – كالذي يأتي مِن

(١) أخرجه البخاري (٤٨٠١) ، و مسلم (١٢٠٧ ، ١٢٠٨) ، و النسائي (٢٧٦٧ ، ٢٧٦٨) ، و ابن ماجة (٢٩٣٦ ، ٢٩٣٨) ، و أحمد (٣١٠٧ ، ٣٢٩٢ ، ٤٧٨٠ ، ٢٥١٣ ، ..) .

(٢) أخرجه النسائي (٢٧٦٦) ، و الدارمي (١٨١١) .

نجد عن طريق قَرْنِ المنازل، أو يأتي مِنْ الطائف، ويُريدُ جدَّة، أو يُريد مكاناً آخر، لكنه يَمُرُّ بالحرم، لأنَّ الطريق أسهل - أي: يَمُرُّ بمَكةَ، لأنَّ الطريق أسهل -، لكنه لم يقصد مكة، وإنَّما مرَّ بها مُروراً، فليس على هذا إحرام،، بلْ له أنْ يَمُرَّ ويتجاوز الميقات بِدُون إحرام. وأمَّا مَنْ قصد مكة - كما تقدم - أو قصد الحرم، فلا ينبغي له، ولا يَسوُغ له أنْ يتجاوز الميقات بدون إحرام، إنْ كان أراد حجاً أو عمرة. وهذا أمر لا شك فيه، ومُتَعَيِّنٌ. وإنْ كان لم يُرِدْ حجاً، ولا عمرة، وإنَّما أراد الحرم، أو أراد الكعبة، لِطَواف أو نحوه، فهنا: الأولَى والأكملَ له ألاَّ يتجاوز الميقات إلا بإحرام. وإن تَرَخَّصَ بنفسه، وتجاوز الميقات بدون إحرام، بحُجَّةِ أنه لم يُرِدْ حجًّا، ولا عمرةً، وأن النبي ﷺ قال في الحديث الصحيح، عن المواقيت: (هُنَّ لَهُنَّ، وَلِمَنْ أَتَى عَلَيْهِنَّ، مِنْ غَيْرِهِنَّ، **مِمَّنْ أَرَادَ الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ**)[1]، وأنه لم يُرِدْ حجًّا ولا عُمْرَة، فَلَعَلَّه في هذه الحالة معذور، أوْ له رُخْصَةٌ في أن يتجاوز الميقات بدون إحرام.

أمَّا الأشياء التي ينبغي لِلْمُحْرِم أن يفعلها عند إرادة الإحرام، فهي مثلاً: التَّنَظُّفُ، وحلقُ شعر العَانة. ونتفُ شعر الإبطين، وقصُّ الشارب، وتقليمُ الأظافر، والتطيُّبُ قبل أن يُحْرِمَ. وهذه كلُّها سُنَنٌ. وأمَّا اللحية، فلا يجوز أن يأخذ شيئاً منها، ولا يجوز أن يتسلط عليها ويحلقها. فإنَّ حَلْقَ

---

(1) أخرجه البخاري (١٤٥٢ ، ١٧٤٨) ، و مسلم (١١٨١) ، و أحمد (٢١٢٩ ، ٢٢٤٠ ، ٢٢٧٢ ، ٣٠٥٦ ، ٣١٣٨) ، و الدارمي (١٧٩٢) .

اللحية حَرَامٌ، ومُخَالِفٌ لِهَدي النبي ﷺ، لِفِعْلِهِ، ولأَمْـــرِهِ صلـــوات الله وسلامه عليه. وإذا أحرم - أي: نوى الإحرام، وعقَد الإحرام – فإنـــه يُسَنُّ له أنْ يُصَلِّي ركعتين، إنْ لَمْ يكن وقت صلاة فريضةٍ. فإنْ كان وقتَ صلاةِ فريضةٍ، اكتفى بِهَا. ثُمَّ بعد ذلك يُحْرِمُ - أي: يكونُ إحرامُهُ عَقِبَ صلاتِهِ -. وتقدم لنا أن الإحرام عقب الصلاة، وأنَّ التنظُّف، والتطيـــب، وتقليم الأظافر، وأخذ الشعر، كل هذه سُنَنٌ، وليست بواجبة، وفِعْلُـــها أحسنُ، وأتَمُّ، وأكمل، وفيه اقتداءٌ بالنبي ﷺ، وحتى لا يحتاج إلى أخـــذِ شيء مِنْ أظافره، أو شعره، بعد إحرامه، وقبل إحلاله. وقد روى عـــن عائشة رضي الله عنها، أنَّها قالت: (طَيَّبْتُ رســـول الله ﷺ لإحرامـــه، ولِحِلِّهِ، قبل أن يطوف بالبيت)(١). فَعُلِمَ أنَّ التطيُّب بالبدن لا بالثيـــاب، كالرأس، واللحية، والوجه. وأنَّ هذا مسنونٌ. ولو بقي أثرُه، أو ريحُـــه، بعد الإحرام، فإنَّ هذا لا يضرُّ. وتقدَّم لنا - أيضاً - أنَّ مَنْ أرادَ الإحـــرام مُخيَّرٌ بَيْنَ الأنْسَاك الثلاثة: بَيْنَ أنْ يُحْرِمَ لِعُمْرَةٍ مُتَمَتِّعًا بهَا إلى الحج، وبَيْـــنَ أنْ يُحْرِمَ لِحَجٍّ وعُمْرَةٍ، وبَيْنَ أنْ يُحْرِمَ بِحَجٍّ مفرد. وأفْضَلُـــهَا أنْ يُحْـــرِمَ لِعُمْرَةٍ مُتَمَتِّعاً بِهَا إلى الحَجِّ، وهذا هو أخيَرُ الأمرين مِنْ الرَّسُولِ ﷺ، وهُـــو الذي أَمَرَ بِهِ أصحابَهُ، وتَمَنَّى أنْ لَوْ كانَ فَعَلَهُ. ويَلْزَمُ المُتَمَتِّعَ - والحال مـــا ذكر، دمُ - وهو دَمُ نُسُكٍ. وإنْ لَمْ يستطِعْ، أو لم يَجِدْ الدَّمَ، فَعَلَيْـــهِ أنْ

(١) أخرجه البخاري (١٦٦٧) ، و مسلم (١١٨٩ ، .. ، ١١٩٢) ، و الترمذي (٩١٧) ، والنسائي (٢٦٨٤ ، .. ، ٢٦٩٢) ، وابـــن ماجـــة (٢٩٢٦) ، و أحمـــد (٢٣٥٩١ ، ٢٤١٥١ ، ..) ، و مالك (٧٢٧) ، و الدارمي (١٨٠١ ، ١٨٠٣) .

يصوم عشرة أيام: ثلاثة أيام في الحج، وسبعة إذا رجع إلى أهله. وصيام ثلاثة الأيام، موسع في وقتها. فله أن يصوم من حين أحرم بالعمرة، حتى ولو كان ذلك في شوال، أو في ذي القعدة. لأن الله ﷻ قال: ﴿ **الحج أشهر معلومات** ﴾ [١]. فعلم أن قوله: ﴿ **فصيام ثلاثة أيام في الحج** ﴾ [٢]. يتناول أشهر الحج كلها.

وأيضا من أفضل ما يفعله المحرم، هو التلبية. بأن يكثر من التلبية، ويجهر بها الذكر. أما الأنثى فتلبي، ولكن لا ترفع صوتها، ولا سيما إذا كان حولها رجال أجانب. والنبي ﷺ كان يرفع صوته بالتلبية، ويقول: (إن أفضل الحج، هو العج والثج)[٣] والثج، هو: النحر، والذبح. والعج، هو: التلبية، ورفع الصوت بالتلبية، وهو من أفضل الشعار، وهو هدي النبي ﷺ.

أسأل الله لنا جميعا حجا مبرورا، وسعيا مشكورا، وذنبا مغفورا، وعزا للإسلام والمسلمين. وأسأله جل وعلا بأسمائه الحسنى، وصفاته العلى، أن يمنح حجاج بيته الحرام، القبول، والمغفرة، والرضوان، وأن يمن على هذه البلاد بمزيد من الطمأنينة والاستقرار، وأن يمكن لها في الخير، وأن يهيئ لها التوفيق، والرشاد. إنه سميع مجيب.

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد، وآله وصحبه أجمعين. .

---

(١) سورة البقرة ، آية : ١٩٧ .

(٢) سورة البقرة ، آية : ١٩٦ .

(٣) أخرجه الترمذي (٨٢٧) ، و ابن ماجة (٢٩٢٤) ، و الدارمي (١٧٩٧) .

الخاتمة

وهكذا يرحل العلماء الربانيون، يوماً بعد يوم، في وقتٍ الأمةُ الإسلامية بحاجةٍ إليهم. . بحاجةٍ إلى فتاواهم. . بحاجةٍ إلى إرشادهم وتوجيههم. . فهم اللآلئُ المضيئة في هذه الحياة، كونهم مصابيح الدُّجَى، وأعلام الهُدى. فمِن حياهم تُستلهم الدروس والعِبَر. وحينما تفقد الأمةُ علماءها الربانيين، فقد خسرتْ روحها وقلبها النابض. وكما قال الشاعر:

الأرضُ تحيا إذا ما عاش عالِمُها
متى يُمتْ عالِمٌ منها يَمُتْ طرفُ
كالأرض تحيا إذا ما الغيثُ حلَّ بها
وإنْ أبَى عَادَ في أكْنَافِهَا التَّلَفُ

ويقول محمد بن الحسين: إذا مات العلماء تحيَّر الناس، ودَرَسَ العلمُ بموهم، وظهر الجهل.

فهنيئاً للشيخ – إن شاء الله – بما قدَّم من عمل صالح ومِنْ دعوةٍ إلى الله عزوجلَّ، بحكمةٍ وبصيرة، فهو لم يدَّخِرْ جهداً في خدمته لأمته ودينه، فكان جهده وعمله ملموساً على الساحات الإسلامية، فقد كان ناصحاً عاملاً، آمراً بالمعروف، ناهياً عن المنكر، يألُم لآلام أمته، ويفرح لِفَرَحِهَا. وكما جاء في الحديث المتفق عليه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَبْدَ نَادَى جِبْرِيلَ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلانًا فَأَحْبِبْهُ. فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، فَيُنَادِي جِبْرِيلُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلانًا فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ. ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الأَرْضِ) (١).

نعم. . لقد كانت جموع المشيعين لجنازة العلامة الشيخ / ابن غصون، دلالة أكيدة – إن شاء الله – على القبول الذي وضع للشيخ، ومحبة المسلمين لهذا العالِم، فخرجوا علماءَ وطلابَ علمٍ، عامَّةً وخاصَّة، صغاراً وكباراً، ماشين وراجلين، في جنازة الشيخ، باكية عيونهم، متأثرةٌ نفوسهم، من رحيل الشيخ، فَخَرَجُوا وألسنتهم تلهج بالدعاء وطلب الرحمة والغفران والعتق من النيران، للشيخ. فرحمه الله رحمة الأبرار، وجعله مع البررة الأطهار. وإن العين لَتدمع، وإن القلب لَيحزن، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا.

وفي الختام لا يسعني إلا أن أدعو لشيخنا بالرحمة والغفران، والعتق من النيران، وجميع موتى المسلمين، وأسأله جلَّ جلاله وتقدَّستْ أسماؤه، أن يجعل عملي خالصاً لوجهه الكريم، راجياً من المولى سبحانه وتعالى أن يغفر لي الخطأ والزلل، وأن يتجاوز عن التقصير والخلل، وأن يثيب كل من كان سبباً في نشر هذا الكتاب، وأن يوفقني وجميع إخواني المسلمين لفعل الخيرات، وترك المنكرات. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٠٣٧) ، ومسلم (٢٦٣٧) ، والترمذي (٣٠٨٥) ، وأحمد (٧٥٧٠ ، ٨٢٩٥ ، ٩٠٨٨ ، ..) ، ومالك (١٧٧٨) .

فهرس المحتويات